الولي والولاية

في ضوء الكتاب والسنة

إعداد

د. محمد بن عبدالله البريدي

الأستاذ المشارك بجامعة الملك خالد

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

ملخص البحث

هذه الدراسة تتناول تحديد مفهوم الولي والولاية في ضوء الكتاب والسنة، وفهم السلف لهما ، وبيان منزلتهما و أن معالمها واضحة في الكتاب والسنة، وأن ولاية الله تعالى تنال بالإيمان والتقوى والتقرب إلى الله تعالى، فبحسب إيمان الشخص تكون ولايته وقربه من الله تعالى، وليس من شرطها الكرامات، ولا خوارق العادات .

The Guardanship according to Quran and Sona

Dr. Mohammad Abdullah AL Boredi

Abstract

This research is about the Guardanship according to Quran and Sona, and understanding of the forefathers for them , and the Quardanship has a leagal meaning at the forefathers and whom is belongs to him , and we achieve it by obedence to Gad , and not of its condition vinegrower and piening , and the most purpose of Iman and Taqwa for any person that his guardanship to Gads.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، واشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ تسليماً كثيراً .. أما بعد ..

فإن هذه الدراسة تهدف إلى بيان مفهوم الولي والولاية من خلال نصوص الكتاب والسنة الصحيحة، لينكشف ما علق بهما، ونسج حولهما من الخرافات أو التصورات الخاطئة، التي خرجت بهما عن مدلولهما الشرعي الصحيح، وتجاوزت بهما إلى أمور غير مقبولة شرعاً ولا عقلا.

فمع أن الولي والولاية لفظان شرعيان واضحان في نصوص الكتاب والسنة، ولهما معانٍ تدور على الإيمان والقرب والحب والتقوى، ويطلقان على كل من اتصف بهذه الأوصاف وامتثل شرائع الله، فلا يصح الخروج بهما عن هذه المعاني والمفاهيم الشرعية، ولا إطلاقهما إلا على من أطلقهما الكتاب والسنة عليه من الأنبياء والمرسلين ومن اقتفى أثرهم من الصحابة والتابعين والصالحين وسائر المؤمنين في كل زمان ومكان ومن أي جنس ما دام هذا الوصف متحققاً في الشخص؛ فهو ولي لله تعالى بقدر ما عنده من الإيمان والتقوى، ولا يعلم ذلك على وجه اليقين ولا تلك الدرجة على الحقيقة إلا الله تعالى، ولا يظهر ذلك للناس إلا يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها، فلا يعرف الولي بمجرد الادعاء أو بظهور بعض الأحوال على يديه من كشف أو إلهام أو كرامة أو غيرها من الأمور الخارقة لما اعتاده الناس ؛ لأن هذه الأمور قد يقع لغير الأولياء ما يشتبه بها من الأحوال

الشيطانية أو أعمال السحرة أو الخدع الحركية، فإذا جعلت هذه الأمور هي المعيار لمعرفة الولي التبس الأمر على كثير من الناس، ولم يفرقوا بين الولي والدعي إحساناً للظن بمن ظهرت على يديه تلك الأمور، وهذا يوجب على المسلم معرفة أوصاف أولياء الرحمن من غيرهم، ولا يتم ذلك إلا بعد معرفة ما جاء عنهم في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ من النصوص الجلية الواضحة، وهي ميزان يفرق به بين الكرامة وبين الأحوال الشيطانية وهي لا تخفى إلا على من أعرض عن الحق أو قصر في طلبه.

إن عدم معرفة تلك النصوص أو الإعراض عنها يجعل الولاية كلأً مباحاً لكل دعي يُدخل فيها من ليس من أهلها، وربما أُخرج منها المؤمنون الأتقياء الذين هم أحق بها وأهلها من الذين أثنى الله عليهم ورسوله ووصفهم الله بالإيمان والصدق والمحبة وكمال النصرة لله تعالى ورسوله ﷺ .

إذا علم هذا ؛ فإن الانحراف في مفهوم الولاية والأولياء والخطأ في تحديد المعيار الحقيقي لهما تغييب للحقيقة الشرعية، وتضليل للناس عن الحق و انحراف عن المنهج السوي .

ولقد حصل هذا مرة على يدي طائفة زائغة عن الحق، ومرة أخرى على يدي طائفة جاهلة أو غالطة، وإن كانت الثانية تدين للأولى بمعظم ما تقوله في الولي والولاية.

أما الطائفة الأولى فقد تقصَّدت ذلك بسبب التعصب البغيض، والغيظ الذي ملأ قلوبها على خيار المسلمين من الصحابة والتابعين الذين نشروا الهدى والدين، فأنكروا فضلهم وولايتهم وحبهم لله ولرسوله وأهل بيته وردوا كل فضل لهم

وتأولوه على غير تأويله بقصد أو بغير قصد، مما ترتب عليه تجهيل أتباعهم وتضليلهم تحت شعار نصرة آل البيت، وهي دعاوى الهدف منها إما سياسي أو عنصري قومي، وهذه الأفعال تهدم ولا تبني وتفرق ولا تجمع ولا توصل إلى محبة الله تعالى ورسوله ﷺ ولا نصرة الدين ولا آل البيت .

وأما غالبية الطائفة الأخرى، فقد أحسنت الظن بأشخاص ادعوا الولاية لأنفسهم، ولبّسوا على أتباعهم بأفعال ومخاريق لا يعرفونها حتى ظنوها كرامات وإلهامات وكشوف لدنيّة، وهؤلاء الأدعياء حالهم يقول : من لم يسرع به نسبه، لم يبطيء به عمله . كل ذلك بهدف تحقيق مكاسب عاجلة من أمور الدنيا كطلب المكانة الإجتماعية، والتعالي على عباد الله ببعض الألقاب، أو الحصول على لعاعة من الدنيا الفانية، مستغلة جهل الأتباع بالحق وعدم معرفتهم ميزان الولاية الشرعي الذي جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

وقد اتفقت الطائفتان في الخروج بالولاية والإمامة إلى غير معانيها الشرعية، وحصرها في طائفة معينة أو سلالة خاصة لا تخرج عنها سواءاً سمى إماماً أو سيداً أو شريفاً أو ولياً أو شيخ طريقة، وربما اختفى عندهم المعنى الشرعي الذي هو الوصف المثالي للمؤمن التقي الذي عرف الحق والتزمه كما قال تعالى : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ [سورة يونس: ٦٢-٦٣]. حيث بين تعالى صفات الأولياء، وأصحاب الولاية، ولم يخصها بجنس أو طائفة معينة . وعلى هذا فلا يجوز الخروج عن هذا المعنى الشرعي الواضح.

وهذا الموضوع وإن كان مطروقا من قبل، إلا أنه لازال لدى بعض الناس من الغبش وعدم الوضوح لمضمونه ما يستدعي تنبيه أولئك وتحرير معناه من خلال نصوص الكتاب والسنه .

وقد اجتهدت في جمع النصوص المتعلقة بالموضوع بأسلوب استقرائي تتبعي تحليلي قدر المستطاع، سائلاً المولى عز وجل أن يهدينا وعموم المسلمين سواء السبيل، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وقد جعلت البحث في مقدمة وخمسة مباحث :

المبحث الأول : معنى الولي والولاية في اللغة والشرع.

ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول : معنى الولي والولاية في اللغة.

معنى الولي في اللغة .

معنى الولاية في اللغة .

المطلب الثاني : الولي والولاية في الشرع :

أولاً :الولي والولاية في القرآن الكريم.

ثانياً : الولي والولاية في السنة النبوية.

الأحاديث القدسية .

الأحاديث النبوية .

المبحث الثاني :معاني الولاية وأنواعها وتفاوت درجات أهلها

ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول : معاني الولاية.

ولاية الله تعالى لعباده .

ولاية العبد لله تعالى .

ا لمطلب الثاني : أنواع الولاية وتفاوت درجات أهلها.

ولاية عامة .

ولاية خاصة .

المبحث الثالث : أبرز علامات الأولياء:

أولاً : الإيمان والتقوى .

ثانياً : أداء الفرائض .

ثالثاً : التقرب إلى الله بالنوافل.

الميحث الرابع : علاقة الولاية بالكرامة

- معنى الكرامة لغة وشرعا .
- ثبوت كرامات الأولياء.
- نماذج من الكرامات.

المبحث الخامس : ثمرات الولاية الرحمانية.

أهم نتائج الدراسة.

المراجع والمصادر.

* * *

المبحث الأول : معنى الولي والولاية في اللغة والشـــرع

المطلب الأول : معنى الولي والولاية في اللغة.

(**أ**) : **معنى الولي في اللغة** :

يدور معنى الولي في اللغة على القرب والدنو[1] . يقال للمطر يجيء بعد الوسمي «ولي» لأنه يلي الوسمي ومنه الولاء في الملك والمولى المالك أو العبد[2]ويأتي بمعنى المحب والنصير . وذلك في بعض استعمالاته .

يقال : تولاّك الله، أي وليك الله، ويكون بمعنى نصرك[3]، وإن كان يستعمل في معان أخرى، وذلك بحسب ما أضيف إليه مثل :

١ - ولي الوراثة كقوله تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ ﴾ [من سورة النساء : آية ٣٣].

٢ - الولي المعتق، وهو صاحب الولاء، لما روي عن أم المؤمنين عائشة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - في شأن بريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - فقال لها النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : ((اشتريها فإنَّما الولاء لمن أعتق))[4] .

٣ - الولي من ولاية العصبة كما في حديث أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : ((أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن مات وترك مالاً فماله لموالي العصبة ...))(٥) .

٤ - الولي ولي في الدين، كقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَـٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [سورة الأنفال : الآية ٧٢] .

٥ - الولي من الولاء لأعداء الله تعالى كالشياطين، والكهنة، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [سورة الأعراف : الآية ٣٠].

وعن عائشة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قالت : سأل رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم - ناسٌ عن الكهان فقال : ((ليس بشيء))، فقالوا : يا رسول الله إنهم يحدثونا أحياناً بشيء فيكون حقاً، فقال رسولُ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : ((تلك الكلمة من الحق، يحفظها من الجني فيقرها في أذن وليه فيخلطون معها مائة كذبة))(٦) .

٦- تولي الأمر والقيام به: فكل من تولى أمراً وقام به فهو مولاه ووليه، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : ((إذا صنع لأحدكم خادمه طعامه، ثم جاءه به، وقد ولي حرّه ودخانه فليُقعدهُ معه فليأكل فإن كان الطعام مشفوهاً قليلاً، فليضع في يده منه أكلةً أو

أكلتين))[٧] .

وكلمة ((أولياء)) جمع ولي، وتأتي بمعنى النصرة أو الأنصار، وبمعنى الخاصة والبطانة، وبمعنى الاتحاد والتجانس نحو القصارة والخياطة في تولي بعض القوم بعضاً جنساً من الصناعة والعمل[٨].

(**ب**): **معنى الولاية في اللغة** :

الولاية في اللغة : بالفتح النصرة، وبالكسر الإمارة والخطة.

وهي تولي الأمر ومباشرته، ومنه قوله تعالى:﴿ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ ﴾[سورة البقرة : من الآية ٢٨٢].

قال تعالى : ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ﴾ [سورة الكهف : من الآية ٤٤] قرئت بالفتح والكسر، ومعناها بالكسر السلطان والإمارة والملك، وبالفتح النصرة، يقال: هم عليّ ولاية، أي مجتمعون في النصرة[٩].

وقال سيبويه (ت ١٨٠هـ) : الولاية بالفتح المصدر، والولاية بالكسر الاسم مثل الإمارة والنقابة لأنها اسم لما توليته وقمت به، فإذا أرادوا المصدر فتحوا وإذا أرادوا الاسم كسروا[١٠] .

وقال الفراء (ت ٢٠٧هـ) : كان الكسائي (ت ١٨٩هـ) يفتحها ويذهب بها إلى النصرة، وقال : وسمعناها بالفتح وبالكسر في ((الولاية)) في معنييهما جميعاً، وأنشد :

دَعيهم فهـمْ ألبٌ عليَّ وِلايةٌ

وحَفْرُ هُمُو إن يعْلمُوا ذاك دائب(١١)

والولاية القرابة والنصرة، الحاصلة بالسبب أو النسب، والوِلاء بالكسر لغة المتابعة(١٢)، وقيل : الوَلاء بالفتح النصرة والمحبة والتناصر، سواء كان ولاء عتاقة، أو ولاء موالاة(١٣) .

إذاً فمعاني الولي والولاية في اللغة تدور بين : القريب، والمحب والصديق، والحليف، والصهر، والجار، والعقيد، والتابع، والمعتق، والمطيع القيام بالأمر، والإمارة، والنصرة.

* * * *

المطلب الثاني : الولي والولاية في الشرع

أولاً : الولي والولاية في القرآن الكريم :

تقدم بيان المعنى اللغوي لكلمتي «الولي والولاية» وأنهما تدوران حول القرب والحب والنصرة ..إلخ، أي أنهما قد استعملتا قبل الإسلام كما استعملت في القرآن الكريم والحديث، ومن ثم فقد عرف مدلولهما عند الصحابة - رضي الله عنهم- والتابعين، ومن سار على دربهم، وأطلقوهما على ما جاءت به النصوص الشرعية لا غير، ثم حدث التشيع والتصوف فيما بعد فخرج أصحاب هاتين الطائفتين بمدلول الولي والولاية إلى معان إصطلاحية غير ما عرف وشاع في القرآن الكريم والسنة النبوية واستقر فهمه لدى سلف الأمة وأتباعهم.

وإذا استعرضنا بعض كلام السلف في هذين اللفظين، نجد أنهم لم يخرجوا بهما عن المعنى الشرعي الذي يدور بين الحب والقرب والنصرة وهذا المعنى هو الذي تدل عليه النصوص الشرعية من الولي والولاية ومشتقاتهما، وذلك في كل موضع بحسبه، سواء في جانب أولياء الله -عز وجل- أو في جانب أولياء أعداء الله تعالى .

ثم يتبين لنا مدى الترابط بين المعنى اللغوي وما ورد وشاع في نصوص الشرع .

قال الشوكاني (١٢٥٠هـ) : « ... في الصحاح، والولي ضد العدو انتهى. والولاية ضد العداوة. وأصل الولاية المحبة والتقرب كما ذكره أهل اللغة، وأصل العداوة البغض والبعد»[١٤]، ويذكر في تفسيره أن «الولي في اللغة القريب، والمراد بأولياء الله خلّص المؤمنين، كأنهم قربوا من الله سبحانه بطاعته واجتناب معصيته، وقد فسر سبحانه هؤلاء الأولياء بقوله :﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ [سورة يونس : آية ٦٢]. أي يؤمنون بما يجب الإيمان به، ويتقون ما يجب عليهم اتقاؤه من معاصي الله سبحانه»[١٥].

وقال النووي (ت ٦٧٦هـ) في شرح الأحاديث القدسية : «الولي المؤمن»[١٦] . وقال ابن حجر (ت ٨٥٢هـ) في الفتح : «المراد بولي الله العالم بالله، المواظب على طاعته المخلص في عبادته»[١٧].

وقال ابن تيمية (ت ٨٢٧هـ) : « الولي من والى الله بالموافقة له في محبوباته ومرضياته، وتقرب إليه بما أمر من طاعاته»[١٨].

وفي «الفرقان» ذكر المعنى اللغوي ثم قال : الولي « وقد قيل: إن الولي سمي ولياً من موالاته للطاعات أي متابعته لها»[١٩].

وقال الإمام الطبري (ت ٣١٠هـ) : «الولي كل مؤمن تقي»[٢٠].

وهذه الأقوال متقاربة المعنى، لا تعارض بينها، وهي المناسبة لمعنى الولي المضاف إلى الله[٢١] سبحانه وتعالى، لأنها مأخوذة من تعريف الله عز وجل بأوليائه في كتابه[٢٢] العزيز كقوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [سورة يونس، الآية ٦٢] ثم فسرهم تعالى بقوله : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾الآية، فإنَّها مستأنفة استئنافاً بيانياً كأنه قيل : من هم ؟ فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾.

يدل على ذلك ما أخرجه ابن جرير (ت ٣١٠هـ) وابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ)عن ابن زيد: في قوله : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ قيل : من هم يا رب ؟ قال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾، والمقصود بالإيمان ما جاء في الحديث الذي أخرجه مسلم في قصة جبريل عليه السلام لما جاء في صورة رجل يسأل عن الدين، فقال النبي ﷺ : «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»[٢٣].

وقد بين تعالى المؤمنين حقاً بقوله :﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ

ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقًّاۚ ﴾[سورة الأنفال : الآيات ٢-٤].ففسرهم بأنهم من اتصف بهذه الصفات الست. وفي مقدمة هؤلاء صحابة رسول الله ﷺ.

وأما المتقون فإنَّ الله تعالى بيَّن وصفهم في صدر سورة البقرة بعد قوله تعالى:« هدى للمتقين » كأنه قيل :منهم ؟ قال :﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾ [سورة البقرة: الآيات ٣-٤] فوصفهم بأنهم من اتصف بهذه الصفات الست، وهي صفات مركبة من أجزاء الإسلام ومن أجزاء الإيمان، كما أنه تعالى ذكر في آية الأنفال صفات المؤمنين حقاً مركبة من أجزاء النوعين، وذلك أنهﷺ قال: في حديث جبريل الذي تقدمت الإشارة إليه لما قال له : ما الإسلام يا محمد ؟ قال : « أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً» الحديث. فجعل إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة من أجزاء الإسلام .

فالآيتان أشارتا بذكر بعض أجزاء الإسلام وهما إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة إلى اعتبار الإسلام بجميع أفراده، إلا أنهما خصتا أعظم أجزائهما البدنية والمالية، ويعلم الصوم والحج بالسنة التي وردت بياناً للقرآن، فإن بيانه بتفصيل مجمله، وتقييد مطلقه، وتفسير مبهمه وغير ذلك، وأشارتا بالإيمان وزيادته إلى اعتبار الإيمان

بأجزائه، فأفادتا أنه لا يكون العبد مؤمناً إلا باستكماله لخصال الإسلام والإيمان، وأشارت آية البقرة إلى أن المتقين هم الجامعون بين الإسلام بقوله:﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[سورة البقرة: آية ٣] والإيمان بقوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾ الآية.

وعلى هذا فقد بين الله تعالى أوليائه بياناً شافياً وأنهم الذين جمعوا بين الإيمان والتقوى[٢٤]ومحبة ربنا جل وعلا . فهذه الأوصاف لابد منها في ولي الرحمن .

وإذا تتبعنا كلمة «ولي» ومشتقاتها في القرآن الكريم نجد أنها قد جاءت في آيات كثيرة وبسياقات مختلفة، وإن كانت لم تخرج عن معناها العام الذي استعملت فيه الحب والقرب والإيمان والنصرة، وقد تفسر بما يخصصها أو يقيدها من الشرعيات أو بما يوافق جوها العام الذي وردت فيه.

وهذه الكلمة «الولي» هي الأكثر شيوعاً في القرآن الكريم حيث وردت بمعان متعددة منها :

١ - ((الولي)) اسم من أسماء الله تبارك وتعالى، وهو بمعنى الناصر والكافي[٢٥]، وقيل : بمعنى المتولي لأمور العالم والخلائق القائم بها، وهو مالك التدبير.

قال ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) : من أسمائه عزّ وجل : (الوالي) وهو المالك للأشياء جميعها المتصرف فيها، وكأن الولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل، وما لم يجتمع ذلك فيها لم ينطلق عليه اسم الوالي[٢٦].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [الشورى آية: ٢٨].

ومنه قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ ﴾[سورة البقرة: من الآية ٢٥٧] فالولي هنا فعيل بمعنى فاعل، قال الخطابي : الولي الناصر ينصر عباده المؤمنين(٢٧).

وقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ ﴾[سورة التحريم : من الآية٤]، أي : وليه وناصره (٢٨).

وقوله تعالى : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة التوبة : الآية ٥١] ومعنى (مولانا) أي : ناصرنا(٢٩).

٢ – ((الولي)) يطلق ويراد به القريب في النسب كما في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾[سورة فصلت : الآية ٣٤] أي قريب شفيق(٣٠) .

وقد يأتي مضافاً إلى بعض المخلوقين، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[سورة آل عمران: من الآية ٦٨]، وقال تعالى:﴿ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ﴾

[سورة آل عمران : الآية ١٥٠] أخبر أنه تعالى مولى المؤمنين وناصرهم، وميسرهم لليسرى ومجنبهم العسرى، وهذا يزداد كلما قوي إيمانهم بالله تعالى[٣١] .

وقال تعالى : ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴾ [سورة الأعراف : من الآية ١٥٥]، وذلك في اعتذار موسى وتضرعه بعدما أخذت بني إسرائيل الرجفة، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [سورة الأعراف : الآية ١٩٦] أي : نصيري وظهيري[٣٢] .

وقال تعالى : ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾[سورة الحج : من الآية ٧٨]، وقال تعالى : ﴿ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[سورة يوسف : الآية ١٠١،] فقوله : ((أنت وليي)) أي ناصري[٣٣] .

٣ - وقد يأتي بمعنى النصرة أو الأنصار مثل قوله : ﴿ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [سورة الممتحنة : من الآية١] أي أنصاراً .

وقد يأتي لفظ أولياء بمعنى الخاصة والبطانة: ﴿لَّا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[سورة النساء : من الآية ١٤٤]،حيث نهى الله المومنين عن مولاة الكفار[٣٤]، وقد يطلق على الأصنام كقوله : ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ

أَوْلِيَآءَ ﴾[سورة الشورى : الآية ٩]،أي أصناماً[٣٥]؛ لأن الكفار اتخذوها أولياءاً من دون الله، فبذلوا لهم الحب،وطلبوا منهم الشفاعة والنصرة.

وقد يأتي وصفاً لعباد الله تعالى مضافاً إليه سبحانه وتعالى،كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الأنفال : من الآية ٣٤] أولياء يحتمل أن يعود إلى الله – جلّ وعلا – ويحتمل أن يعود إلى المسجد الحرام[٣٦].

وقد يأتي للدلالة على عباد الله المقـربين إليه كـما في قوله تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ [سورة يونس : الآيتان٦٢ – ٦٣].

وقال الله تعالى عن اليهود : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[سورة الجمعة : الآية ٦] وهذا من ظلم اليهود وعنادهم – قاتلهم الله – أنهم يعلمون أنهم على باطل ويزعمون أنهم على حق، وأنهم أولياء لله من دون الناس !.

وقال تعالى عن الكفار عامة : ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ﴾ [سورة الأنفال : من الآية ٧٣] . والمراد : يتناصرون بينهم ويتعاملون باعتقادهم[٣٧].

وأما كلمة ((الولاية)) فقد جاءت في القرآن الكريم في موضعين :

الأول : في قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَـٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ۚ ﴾ [سورة الأنفال : الآية ٧٢]، حيث بيّن تعالى أن الذين لم يهاجروا لم يكن لهم نصيب في المغانم ولا في خمسها إلا ما حضروا فيه القتال [٣٨] .

والثاني : في قوله تعالى : ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَـٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ﴾[سورة الكهف : من الآية ٤٤] فقد ذكر المفسرون أن المراد بالولاية - هنا - النصرة والربوبية والتولي بأنواع الكرامات .

قال الشوكاني(ت ١٢٥٠هـ) - رَحِمَهُ اللهُ - : ((والمعنى : هنالك : أي في ذلك المقام النصرة لله وحده لايقدر عليها غيره، وقيل : هو على التقديم والتأخير : أي الولاية لله الحق هنالك))[٣٩] .

فالولاية في القرآن تشير إلى نصر الله تعالى للعبد وتوفيقه، وإلى الولي الذي تجب موالاته، وهذا بشرط الإيمان بالله تعالى وأداء العبد لحقوقه تعالى ظاهراً وباطناً كقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴾[سورة المائدة : الآيتان ٥٥، ٥٦].

فلما نهى الله تعالى: عن ولاية الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم وذكر أن

مآل ولايتهم الخسران المبين، أخبر تعالى عن الذي يجب ويتعين توليه، وبين فائدة ذلك ومصلحته فقال : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾ فولاية الله تنال بطاعته، ومن كان لله ولياً فهو ولي رسوله ﷺ، وتمام ذلك تولي من تولاه وهم المؤمنون الذين أقاموا الإيمان ظاهراً وباطناً، وأخلصوا للمعبود بإقامتهم الصلاة بشروطها وفروضها ومكملاتها، وأحسنوا للخلق، وبذلوا الزكاة من أموالهم لمستحقيها منهم .

وأسلوب الحصر في الآية يدل على أنه يجب قصر الولاية على المذكورين والتبرئ من ولاية غيرهم، ثم ذكر فائدة هذه الولاية فقال : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ أي فإنه من الحزب المضافين إلى الله تعالى إضافة عبودية وولاية، وحزبه هم الغالبون الذين لهم العاقبة في الدنيا والآخرة، وهذه بشارة لمن قام بأمر الله تعالى، وصار من حزبه وجنده أن له الغلبة، وإن أُديل عليه في بعض الأحيان، فآخر أمره الغلبة والانتصار ومن أصدق من الله قيلاً [٤٠].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة التوبة : الآية ٧١] أي : قلوبهم متحدة في التواد والتحاب والتعاطف[٤١] والانتماء والنصرة، ثم بين تعالى أوصافهم الحميدة التي أهلتهم لولاية الله تعالى فقال :﴿ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ وهو اسم جامع لكل ما عُرف حسنه من العقائد الحسنة، والأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة، وغير ذلك مِمَّا هو معروف من

الشرع غير منكر، وقوله تعالى : ﴿ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾أي كل ما هو منكر في الدين غير معروف من العقائد الباطلة والأعمال الخبيثة والأخلاق الرذيلة، وخص إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة بالذكر من جملة العبادات لكونهما الركنين العظيمين فيما يتعلق بالأبدان والأموال، وهذه من الأعمال الظاهرة، ثم ذكر أنهم لايزالون ملازمين لطاعة الله ورسوله على الدوام(٤٢)، فإذا أدوا حق الله تعالى ظاهراً وباطناً، نالوا ولاية الله تعالى التي جعلها لخواص خلقه، الذين هم على قرب من الله تعالى دائماً، وبعيدون من الشيطان دائماً حذرين من الوقوع فيما يزينه لهم، كما قال تعالى : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة الأعراف : الآية ٢٧] أي: فإياكم أن يوقعكم في الفتنة كما أوقع أبويكم ؛ فإنه لا يألو جهداً في إضلالكم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

فجعل سبحانه وتعالى عدم الإيمان هو الموجب لعقد الولاية بين الإنسان والشيطان، وقد بين سبحانه سوء حال المشركين الذين يفعلون الذنوب والسيئات، فيكونون من أولياء الشياطين، فإنهم وضعوا أنفسهم في غير موضعها، وشغلوها بالشهوات، والمعاصي فضروها غاية الضرر من حيث ظنوا أنهم ينفعونها، وقد ضرب لهم مثلاً بحشرة ضعيفة رخوة واهنة لا حماية لها من تكوينها الرخو ولا وقاية لها من بيتها الواهن (٤٣) وهكذا حال كل من اتخذ غير الله ولياً ونصيراً، فقد خسر وضاع سعيه كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن

دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾[سورة الكهف : الآية ٥٠] وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ [سورة النساء : من الآية ١١٩].

فمن كانت هذه حاله وولايته، فهو بعيد عن الله قريب من الشيطان محجوب عن الهدى والبيان ومعرفة القرآن، وليس من أولياء الرحمن الذين أوتوا علم الكتاب، كما قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [سورة فاطر : الآية ٣٢].

وهذه الأصناف الثلاثة في أمة محمد ﷺ فمنهم ظالم لنفسه بالمعاصي التي هي دون الكفر، والمقتصد هو المقتصر على ما يجب عليه وتارك للمحارم والسابق بالخيرات هو المؤدي للفرائض، والمكثر من النوافل المجتنب للمحارم والمكروهات، ((فلكل منهم قسط من وراثة الكتاب حتى الظالم لنفسه فإن ما معه من أصل الإيمان وعلوم الإيمان وأعمال الإيمان من وراثة الكتاب ؛ لأن المراد بوراثة الكتاب وراثة علمه وعمله ودراسة ألفاظه واستخراج معانيه))[٤٤] كل ذلك بفضل الله تعالى، فإن قوله : ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾راجع إلى السابق بالخيرات لئلا يغتر بعمله بل ما سبق إلى الخيرات إلاّ بتوفيق الله تعالى ومعرفته ومعونته فينبغي له أن يشتغل بشكر الله تعالى على ما أنعم به عليه[٤٥] . قال ابن الحنفية (ت٨٠هـ) – رَحِمَهُ اللهُ – : أعطيت هذه الأمة ثلاثاً لم تعطها أمة كانت قبلها ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾مغفور

له ﴿ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ﴾ في الجنان ﴿ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ ﴾ بالمكان الأعلى[٤٦].

* * * *

ثانياً : الولي والولاية في السنة النبوية[٤٧] المطهرة

(أ) - الأحاديث القدسية :

تشير بعض الأحاديث القدسية إلى مفاهيم كثيرة عن الولي والولاية يُمكن الاعتماد عليها في هذا الباب وجعلها الأساس في ذلك .

وأصح تلك الأحاديث . ما رواه الإمام البخاري (ت ٢٥٦هـ) -رَحِمَهُ اللهُ- عن محمد بن عثمان بن كرامة، حدثنا خالد بن مخلد، حدثنا سليمان بن بلال، حدثني شريك بن عبدالله بن أبي نِمْر، عن عطاء، عن أبي هريرة- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عن النبي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: ((إنّ الله تعالى قال : من عادَى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ مِمَّا افترضتُه عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنّه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته))[٤٨] .

قال ابن رجب (ت ٩٧٥هـ) - رَحِمَهُ اللهُ - : ((روي هذا الحديث من وجوه أُخَر لاتخلو كلها عن مقال))[٤٩] .

كما رواه ابن أبي الدنيا(ت ٢٨١هـ) في الأولياء بلفظ : ((من آذى لي ولياً، فقد استحل محاربتي...))[٥٠] وهو عند الإمام أحمد (ت ٢٦١هـ) - رَحِمَهُ اللهُ - في

المسند[٥١]، وعند أبي نعيم (ت ٤٣٠هـ) في الحلية[٥٢] عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا .

وعند الإمام الطبراني (ت ٣٦٠هـ) – رَحِمَهُ اللهُ – في الكبير[٥٣] والسلمي (ت ٤١٢هـ) في الأربعين عن أبي أمامة عن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بلفظ قال : ((يقول الله عزّوجل من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة ...))[٥٤] .

وأورده الهيثمي(ت ٨٠٧هـ) في المجمع [٥٥]عن علي – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – وهو عند الطبراني (ت ٣٦٠هـ) أيضاً من حديث ابن عباس وأنس[٥٦] عن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عن جبريل عن ربه، وعنده أيضاً من حديث زر بن حبيش سمعت حذيفة يقول : قال رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ((إنّ الله تعالى أوحى إليَّ ...))[٥٧] .

والحديث برواية أبي هريرة – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – التي خرجها الإمام البخاري – رَحِمَهُ اللهُ – يعتبر أشرف حديث يروى في ذكر الأولياء، بل إنه أصح حديث في ذلك[٥٨] وهو أصل في السلوك إلى الله تعالى، والوصول إلى معرفته ومحبته وطريقه[٥٩]، إذاً فهو يمثل قاعدة كبرى في موضوع الولاية والأولياء، لاشتماله على ما يُمكن أن نسميه أركان الولاية، وهي: الولي، وطريق الولاية الشرعية، وأثر سلوك ذلك الطريق في نفس الولي، ومنزلة الولي عند الله تعالى.

وجاء في حديث آخر : ((وإني لأثأر لأوليائي كما يثأر الليث الحرب))[٦٠] والمعنى : أنّ الله عزّ وجل يأخذ لهم الثأر ممن عاداهم؛ وذلك لأن أولياء الله هم الذين آمنوا به ووالوه فأحبوا ما يحب، وأبغضوا ما يبغض، ورضوا بما يرضى، وسخطوا من ما يسخط، ونهوا عن ما ينهى عنه، وأعطوا لمن يحب أن يعطى، ومنعوا من يحب

أن يمنع، فحالهم تقتضي التسليم الكلي لله وحده لا شريك له .

(ب) - الأحاديث النبوية :

كما أشار القرآن الكريم والأحاديث القدسية إلى معاني الولي والولاية فإن الأحاديث النبوية فيها مثل تلك الدلالات، ومن ذلك :

ما رواه الإمام مسلم عن زيد بن أرقم : «.. اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها»(٦١).

وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: «علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهم في الوتر اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت ..»(٦٢).

وقوله - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمَ - : ((... والمهاجرون والأنصار، بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة))(٦٣) فأهل الإيمان الذين يتولى بعضهم بعضاً هم من أصناف الصحابة رضي الله عنهم المهاجرون الذين خرجوا من ديارهم وأموالهم، وجاءوا لنصر الله ورسوله وإقامة دينه وبذلوا أموالهم وأنفسهم في ذلك، والأنصار وهم المسلمون من أهل المدينة إذ ذاك، آووا إخوانهم المهاجرين في منازلهم،وواسوهم في أموالهم، ونصروا الله ورسوله بالقتال معهم فهؤلاء "بعضهم أولياء بعض" كل منهم أحق بالآخر من كل أحد؛ولهذا آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين و الأنصار كل اثنين أخوان، وكانوا يتوارثون إرثاً مقدماً على القرابة،حتى نسخ بالمواريث،كما ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما .
والصنف الثالث: من المؤمنين هم الذين آمنوا ولم يهاجروا بل أقاموا في بواديهم وأن على الصنفين الأولين نصرهم على عدوهم إذا استنصروهم إلا على قوم بينكم

وبينهم ميثاق فلا تخفروا ذمتكم[٦٤].

وجاء في الصحيحين وغيرهما ولفظه عند الإمام مسلم (ت ٢٤١هـ) عن أبي هريرة – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قال : قال رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : ((إنّ الله إذا أحبّ عبداً نادى جبريل فقال : إني أحب فلاناً فأحبه قال : فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول : إن لله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء قال : ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول : إني أبغض فلاناً فأبغضه، قال : فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء : إنّ الله يبغض فلاناً فأبغضوه، قال: فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء في الأرض))[٦٥] .

والحديث يبين أن تقوى الله ومحبته تحصل بهما سعادة الدنيا والآخرة لأنه سبحانه أهل التقوى وهو أيضاً أهل المغفرة،والعبد مهما اتقى فلابد أن يحصل منه الخطأ والزلل والذي يجبر الكسر ويسدد الخلل هو الله سبحانه، وهو تعالى الذي أمال القلوب إلى عبده، وجعل سبب حبهم إياه كونه مطيعاً لله – عز وجل – وهو الذي جعل لعبده الحب في قلوب الناس، ورضّاهم عنه فتميل إليه قلوبهم وترضى عنه وقد جاء في رواية فتوضع له المحبة [٦٦].

وفي معناه حديث أبي مالك الأشعري – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قال – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((يا أيها الناس اسمعوا واعقلوا واعلموا أنّ لله عزّوجل عباداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله، فجاء رجل من الأعراب من قاصية الناس، وألوى بيده إلى نبي الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فقال : يا نبي الله ناس من الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله ؟ انعتهم لنا – يعني صفهم لنا –، فسر وجه رسول

الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لسؤال الأعرابي فقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هم ناس من أفناء الناس ونوازع القبائل،لم تصل بينهم أرحام متقاربة، تحابوا في الله وتصافوا، يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها، فيجعل وجوههم نوراً وثيابهم نوراً، يفزع الناس يوم القيامة ولا يفزعون، وهم أولياء الله تعالى الذين لاخوف عليهم ولا هم يحزنون))(٦٧).

وهذا الحديث يحث جميع المؤمنين على أن يكونوا إخوة متحابين في الله- عز وجل - وإن تباعدت ديارهم واختلفت أجناسهم، فعلى أساس الإيمان يجتمعون ويوالي بعضهم بعضاً ويتآخون كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [سورة الحجرات:من الآية ١٠] فتكون الولاية من المؤمنين بعضهم لبعض، والعداوة للكافرين وإن دنت أوطانهم أو نسبهم ؛إذا الإيمان بالله - عزّ وجل- ورسوله ﷺ هو أساس الولاء والبراء عند عباد الله المؤمنين؛ لأنه تعالى اتخذهم أولياء في مقابلة أعدائه الكافرين الذين ذكرهم في أول سورة الممتحنة محذراً منهم ومن اتخاذهم أولياء ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾[سورة الممتحنة : من الآية ١] فأولياء الله تجب موالاتهم كما أن أعداء الله تجب معاداتهم.

فكلمة (ولي) في الأحاديث النبوية تتفق مع ما في القرآن الكريم والأحاديث القدسية من إطلاقها غالباً على أولياء الرحمن الذين يوافقون الله في محبوباته ومرضياته ومتابعة رسوله ﷺ ونصرة دينه، وإن كانت قد سبقت الإشارة إلى معان أخرى يتحدد المقصود منها بحسب ما تضاف إليه من خير أو شر سواء في جانب أولياء الله تعالى أو أولياء غيره . فـ «هو اسم يقع على جماعة كثيرة، فهو الرب والمالك والسيد والمنعم المعتِق والناصر والمحب والتابع والجار وابن العم والحليف والعقيد والصِّهْر، والعبد والمعتَق والمنعم عليه، وأكثرها قد جاء في الحديث، فيضاف كل واحد إلى ما يقتضيه الحديث الوارد فيه»(٦٨). وكثير من هذه

المعاني يتفق مع ما ورد في القرآن الكريم، وكل هذه المعاني أرادها الإسلام، وطلب تحقيقها في واقع الناس وفي حياتهم العملية والقيام بحق كل منها.

المبحث الثاني : معاني الولاية وأنواعها وتفاوت درجات أهلها

المطلب الأول: معاني الولاية

قال الراغب (ت ٥٠٢ هـ):((الولاية النصرة، والولاية تولّي الأمر والولي والمولى يستعملان في ذلك كل واحد منهما، يقال في معنى الفاعل أي: الموالي، وفي معنى المفعول أي الموالىَ، يقال: للمؤمن هو ولي الله، ويقال : الله ولي المؤمنين))[٦٩]

وقد تقدم أن معنى الولاية يدور على الحب والنصرة التي هي ضد العداوة والبغض، ومن المعلوم بالضرورة أن ما يتعلق بالله ليس على ما يجول في الخيال ولا يخطر بالبال ؛ وعليه فلا بد من معرفة معنى كل من ولاية الله للعبد، ولاية العبد لله، وتوضيح ذلك ببيان معنى كل منهما:

* فمعنى ولاية الله لعباده المؤمنين : أي حفظهم، وتدبيرهم، ومحبتهم، وتقريبهم وتأييده لهم، وهدايتهم للإيمان والطاعة، وإعانتهم على العبادة، فيزدادوا قرباً منه فيحبهم، ويتولى أمرهم كوناً وشرعاً، كما في قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾[سورة البقرة:من الآية ٢٥٧] قال الشوكاني (ت : ١٢٥٠هـ) في معنى الآية: الولي الناصر وقوله : (يخرجهم) تفسير للولاية أو حال من الضمير في ((ولي))[٧٠].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

[سورة الأعراف : الآية ١٩٦]. بمعنى أن الله يسدد من تولاه في حواسه بحيث يكون عمله بهذه الجوارح لله اتباعاً وإخلاصاً، فهو تعالى الولي الذي يتولاه عباده بطاعته والتقرب إليه بما أمكن من القربات وهو الذي يتولاهم عموماً بتدبيرهم بكل أنواع التدبير ونفوذ المقادير.

وكما في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ [سورة النساء : من الآية ٧٥] أي : سخر لنا من عندك ولياً وناصراً.

* ومعنى ولاية العبد لله تعالى : أي ولاية المؤمنين لربهم والمراد بها ولاية الإيمان به من حفظ حدوده ومحبته والقيام بتوحيده والاستقامة على مراده تعالى دون غيره وعداوة أعدائه والتسليم له وحده تعالى والتقرب إليه بالفرائض والنوافل، وموالاة من يوالي ومعاداة من يعادى ومحبة من يحب وكراهة ما يكرهه سبحانه وتعالى.

قال عز وجل: ﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَسۡلَمَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [سورة الأنعام : الآية ١٤].

وقوله في التحذير من ولاية الأعداء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ ﴾[سورة الممتحنة:الآية١].وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ

فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [سورة التوبة : من الآية٢٣] فحذر تعالى من موالاة أعدائه، وأن عدم ذلك يدل على الظلم الذي حذر الله منه وبين شناعته في أكثر من موضع .

وقد تقدم أن ولاية الله ليست كولاية غيره، بل كما قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[سورة الشورى: آية ١١] وذلك أن ولاية الله تعالى للعبد تعني هدايته إلى الطاعة وإلى محبته تعالى ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم ومحبة دينه ونصره، والدعوة إليه، وولاية العبد تقتضي الإيمان بالله سبحانه وتعالى والتقرب إليه بالطاعات، وترك المعاصي خشية منه وحده، وولاية الله لعبده مترتبة على موالاة العبد لربه .

والله - عزّ وجل – لا يوالي عبده ولا يتخذه ولياً لحاجة أو ذلة، وإنّما يواليه تكرماً منه تعالى وتفضلاً كما قال تعالى : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴾ [سورة الإسراء: الآية ١١١].

وأمّا العبد فإنه الضعيف المفتقر إلى الله - عزّ وجل- في كل لحظة وفي كل شأن من شؤونه، لأن الله هو الغني الحميد، وله العزّة جميعاً والعبد هو الفقير الذليل المحتاج إلى ولي ينصره ويعينه، فيوفقه للأعمال التي يباشرها، ويعصمه من مواقعة ما يكرهه[٧١]، ويدفع عنه كيد الفجار وتكالب الأشرار كما قال تعالى: ﴿ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴾[سورة آل عمران : آية ١٥٠) وقول النبي ﷺ للصحابة في غزوة أحد لما قال الكفار :لنا العزى ولا عزى لكم . فقال النبي ﷺ : (قولوا الله مولانا ولا مولى لكم)[٧٢] فالله يوالي عبده إكراماً منه،

والعبد يوالي ربه افتقاراً واحتياجاً إليه سبحانه وتعالى .

* * * *

المطلب الثاني: أنواع الولاية وتفاوت درجات أهلها

لقد بين الله تعالى أهم صفات أوليائه في قوله تعالى : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة يونس : الآيتان ٦٢- ٦٣] فإن أولياء الله عز وجل حقاً هم المؤمنون المتقون لا غيرهم، وهم ليسوا على درجة واحدة في ولايتهم لله تعالى بل قربهم وبعدهم منه تعالى بحسب إيمانهم وتقواهم وطاعتهم، ومن المعلوم أن درجات الإيمان تتفاوت إلى زيادة ونقصان حتى ينتهي الإيمان إلى مقدار مثقال الذرة و الخردلة كما جاءت بذلك الأحاديث النبوية الصحيحة[٧٣]، وكذلك رتبة التقوى والطاعة تتفاوت، فدرجات الأولياء في الآخرة تتفاوت بتفاوت هذه المقامات وأعظمها مقام الإحسان والخوف والخشية، ومنازلهم فيها بحسب إيمانهم وتقواهم في الدنيا، كما جاء في الحديث :(أن لله- عز وجل - عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله)[٧٤]. قال تعالى ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [سورة فاطر : آية ٣٢]. فهذه الطوائف الثلاث الظالم لنفسه والمقتصد، والسابق بالخيرات،كلهم يدخلون الجنة[٧٥]بفضل الله تعالى، مع تفاوت درجاتهم في الدنيا والآخرة .

والأولياء ليسوا بمعصومين فالعصمة للأنبياء فقط، فقد تجتمع في المؤمن ولاية من جهة وعداوة من جهة كما قد يكون فيه كفر وإيمان وشرك وتوحيد وتقوى وفجور ونفاق وإيمان، وهذا لايخرجه من عموم ولاية الله ؛ لأن كل من آمن بالله تعالى وأسلم له فله حظ من الولاية سواء دقت أم عظمت، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، نسأل الله أن يجعلنا من أوليائه وأحبابه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وإذا كان الأولياء يتفاضلون في الإيمان والتقوى فهم كذلك يتفاضلون في ولاية الله بحسب هذا الإعتبار، ومن هنا يُمكن الكلام عن نوعين من الولاية في القرآن الكريم :

الأولى: ولاية عامة تشمل جميع المؤمنين وهي مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [سورة المائدة : الآية ٥٥]، أي:((ليس اليهود بأوليائكم، بل ولايتكم راجعة إلى الله ورسوله والمؤمنين))[٧٦] فالله سبحانه وتعالى هو الذي يتولى تدبير أمور العالم كلها، وهو مالك التصرف فيها ليس له شريك، وهو الذي يهدي الخلائق لما ينفعهم الذي أعطى كل شيئ خلقه ثم هدى، ثم خص عباده المؤمنين بإخراجهم من ظلمات الجهل والشرك إلى نور الإسلام والإيمان ويعينهم على ذلك بتوفيقه ولطفه كما قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [سورة البقرة : الآية ٢٥٧]، وإنما جعل الظلمات للكفر مثلاً لأنها حاجبة للأبصار عن إدراك الأشياء، وكذلك الكفر يحجب البصيرة عن الإيمان والعلم به تعالى وما يتبع ذلك من شرائع، فهو تعالى يهدي المؤمنين عموما ويبصّرهم بحقيقة الإيمان

وسببه ويكشف عنهم دواعي الكفر، وظلم سواتر أبصار القلوب(٧٧).

الثانية : ولاية خاصة وهي أعظم قدراً من الأولى، وهي الواردة في الحديث القدسي: (من عادى لي ولياً) ومأخوذة من الآية : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾[سورة يونس : الآيتان ٦٢، ٦٣] فهذه الآية تزيد في وصف الأولياء على الآية التي سبقتها بمسألة التقوى، وأن الذين أمنوا بالله ورسله وصدقوا ذلك بالقيام بالواجبات وترك كل ما ينافيه وراقبوا الله في السر والعلن ؛ فإنه تعالى يتولاهم ولاية خاصة غير ولاية عموم المؤمنين، بما يقذف في قلوبهم من نور الإيمان، وتيسيرهم لليسرى ويجنبهم العسرى فهو الذي يتولى خواص عبادة الذين وصفهم بالمخلَصين والصالحين ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [سورة الأعراف : الآية١٩٦]. وهذه الولاية الخاصة لاتحصل إلاَّ لمن كان من أهل الولاية العامة ثم زاده الله تعالى ووفقه إلى مزيد من الطاعات والقربات حتى بلغ درجة المحبة التي ذكرها الله - عزّ وجل - في الحديث الآنف الذكر((من عادى لي وليّاً ...)). ومعناه أن الله يسدد الولي في سمعه وبصره ويده ورجله بحيث يكون عمله بهذه الجوارح لله اتباعاً وإخلاصاً، وليس معناه أن الله - عز وجل - يكون سمع الولي وبصره ويده ورجله ؛ لأن الحديث قد أثبت عبداً ومعبوداً ومتقرباً ومتقرباً إليه ومحباً ومحبوباً وسائلاً ومسئولاً ومعطياً ومعطى ومستعيذاً ومستعاذاً به، ومعيذاً ومعاذاً، فدل الحديث على اثنين متباينين هما العبد والرب ويمتنع أن يكون أحدهما وصفاً للآخر أو جزء منه كما زعمت فرق الضلال .

وأما ترتيب الأولياء وتفاوت درجاتهم فهذا بحسب منازلهم عند الله وقربهم

منه تعالى بالإيمان والمعرفة والطاعة فأفضل الأولياء الأنبياء وأفضلهم الرسل الذين هم أكرم الخلق على الله - عز وجل - وأخصهم بالزلفى لديه وهم المصطفون، وهم المخلصون من عباده الذين سلم عليهم في العالمين في أكثر من موضع، كما في قوله تعالى: ﴿ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[سورة الصافات : آية ١٨١] ويكفي في فضلهم أن الله سبحانه وتعالى إختصهم بوحيه وكراماته فمنهم من إتخذه خليلا، ومنهم كلمه تكليما، ومنهم من رفعه مكانا عليا، وهم أقرب الخلق إلى الله وسيلة، وأرفعهم عنده درجة، فكانوا أهل المرتبة الأولى والطبقة العليا من الخلائق [٧٨]، وأفضل المرسلين أولوا العزم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين[٧٩]، كما قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ ﴾ [سورة الشورى:من الآية١٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ [سورة الأحزاب : الآية ٧].

وفي ضوء هذا النسق النبوي الكريم نعلم أن أفضلهم جميعاً هو محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ؛ لأنه جمع فضائل عدة لم تكن لغيره عليه الصلاة والسلام، فهو خاتم الأنبياء وإمامهم إذا اجتمعوا وشفيع الخلائق يوم القيامة وصاحب الوسيلة والفضيلة الذي بعثه بأفضل الكتب، وشرع له أكمل شرائع الدين، ثم يليهم من عداهم من الرسل على مراتبهم من تفضيل بعضهم على بعض، ثم يليهم الذين لم يرسلوا إلى أممهم، وإنما كانت لهم النبوة دون الرسالة، ثم ورثة

الرسل وخلافائهم في أممهم، القائمون بما جاء به الرسل علما وعملا ودعوة إلى الله على منهاج الرسل [٨٠].

وقد شـرّف الله تعالى أمة محمـد صلى الله عليه فقال تعـالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [سورة آل عمران: آية ١١٠] وأفضل الأمة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد ثبت بالكتاب والسنة أن أفضل الأمة أهل بدر ثم أهل بيعة الرضوان، والعشرة مفضلون على غيرهم، والخلفاء الأربعة أفضل الأمة، وأفضلهم أبو بكر ﷺ كما جاء في الحديث : «لو كنت متخذا من أمتي خليلا لإتخذت أبا بكر، ولكن أخي وصاحبي » [٨١] وقوله صلى الله عليه وسلم: «ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر»[٨٢]. فإن هؤلاء أوليـاء الله، والله يحبهم، وشـهد لهم رسـول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة، وهذا موافق لقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[سورة التحريم آية : ٤]، وصالح المؤمنين هو من كان صالحا منهم، وهم المؤمنون المتقون أولياء الله لقوله ﷺ (إن أوليائي المتقون أيا كانوا وحيث كانوا) [٨٣] .، ودخل في ذلك أبو بكر وعمر[٨٤] وعثمان وعلي[٨٥]رضي الله عنهم، وسائر أهل بيعة الرضوان الذين بايعوا تحت الشجرة، وكانوا ألفا وأربعمائة [٨٦]، وكلهم في الجنة كما ثبت عنه عليه الصلاة والسلام :(لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة)[٨٧]، وغيرهم من ﴿ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [سورة النساء : آية٦٩] وفي قوله: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾[سورة التوبة : آية ١٠٠] وقوله تعالى ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾[سورة التوبة : آية ١٠١]، وقال تعالى : ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ

تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾.[سور الفتح من الآية:١٨].

وأما الأحاديث في هذا كثيرة لا ينكرها إلا من ختم الله على قلبه وجعل على بصره غشاوة فتراه يتنقص أصحاب رسول الله ﷺ ولا يقر أن الصحابة رضي الله عنهم خير العالم بأسره من أوله إلى آخره لا يفضلهم أحد من البشر عدا الرسل والأنبياء كما بينه الله سبحانه تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولهذا لم يعدل مثل أُحد ذهباً مد أحدهم ولا نصيفه(٨٨)، فإذا لم يكونوا رأس الأولياء، وصفوة الأتقياء فليس لله أولياء ولا أتقياء ولا بررة ولا أصفياء(٨٩).

والخير في هذه الأمة والولاية حتى يأتي وعد الله، قال ﷺ :(خير القرون القرن الذي بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)(٩٠)، وقوله عليه الصلاة والسلام :(لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لايضرهم من خذلهم)(٩١).

ثم ينبغي أن يعلم أن الولي المطلق من مات على الإيمان والتقوى، وأن التحقق من ذلك لا يكون إلاَّ بالموت عليهما، ومن لم يكن بتلك الصفة فليس بولي لله، وأمَّا على سبيل العموم فكل من كان مؤمناً تقياً كان لله ولياً، نسأل الله حسن الختام والموت على الإيمان والتقوى، آمين . آمين ..

المبحث الثالث : أبرز علامات الأولياء

يمكن تلخيصها في ثلاث علامات :

الأولى : الإيمان بالله تعالى وتقواه عز وجل.

يتضح من النصوص السابقة أن في مقدمة معالم الولاية الشرعية الإيمان بالله عزّ وجل والإيمان برسوله محمد – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لأنّ الإيمان هو المدخل الأعظم لأي منتسب إلى الولاية، ومن المعلوم بالضرورة أن من لا يكون

مؤمناً لا يقبل منه أي عمل وليس له نصيب من محبة الله تعالى ولا ولايته .

فالإيمان بالله تعالى أعلى ما يُمكن أن يتقرب به العبد إلى الله تعالى، وهو أوجب ما ينبغي أن يتحلى به المسلم، ولاسيما في طلبه لولاية الله تعالى ؛ لأنه أصل الدين[٩٢]، والمقصود بالإيمان هنا الدين بجملته ودرجاته، الإسلام والإيمان والإحسان، وهذه المراتب الثلاث ليست سواءًا في الميزان بل إنها تتفاوت بدرجات كبيرة، فالإسلام أول منازل السالك إلى الله تعالى، وهو مبني على خمسة أركان، والإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة أعلاها قول: ((لا إله إلاَّ الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان))[٩٣]، وهذه كلها خصال وشعب ودرجات يترقى فيها المؤمن، كلما ازداد المرء منها ازداد إيمانه وقوي؛ لأنّه كما يقال : ((مِنْ لازم الإيمان القوي العمل السوي))[٩٤] .

فحينما تستكمل الفرائض والنوافل في هذا البناء القويم، ولم يحصل ما يناقضه فيعيبه كان إيماناً كاملاً ((وكان مثله كمثل الرجل المجتمع الخلقة الذي لا ينقصه شيء من مقومات بنيته ولا من أجزاء زينته))[٩٥]، وهكذا إذا قصّر المرء في شيء من هذه المراتب صار مشوهاً ضعيفاً أو ناقصاً ((كالرجل الذي بُتر عضو من أعضائه أو أكثر، أو عُرّي من أثوابه أو من بعضها حتى إذا وصل معول الهدم إلى الأساس وهو اليقين والاطمئنان سواء أكان ذلك عن جحد أو شك أم عن إباء وبغض زال اسم الإيمان بالكلية وصار كمن قطعت رأسه وزهقت روحه))[٩٦] .

ولابد مع ذلك من الإيمان بمحمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - واتباعه ظاهراً وباطناً وقد أنزل سبحانه قوله : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[سورة آل عمران : من الآية ٣١] فقد جعل الله سبحانه صدق محبته تعالى متوقفة على

اتباع رسوله ﷺ وجعل اتباعه سبب حصولالمحبة من الله تعالى[٩٧]، فمن ادّعى محبة الله وولايته وهو لم يتبعه فليس من أولياء الله تعالى، بل من خالفه كان من أعداء الله وأولياء الشيطان ؛ ولهذا قال الحسن البصري (ت ١١٠هـ) – رَحِمَهُ اللهُ – : ((ادّعى قوم أنهم يحبون الله فأنزل الله هذه الآية محنة لهم))[٩٨] .

فمن ادّعى محبة الله ولم يتابع رسول الله ﷺفليس من أولياء الله وإن ظن في نفسه، أو ظن هو في غيره أنه ولي الله، فاليهود والنصارى يدعون أنهم أولياء لله من دون الناس، وأنه لن يدخل الجَنَّة إلاَّ من كان منهم بل يزعمون أنهم أبناء الله وأحباؤه[٩٩]وهم من أبعد الخلق عن ولاية الله ومحبته، ومن اعتقد أن لأحد من الأولياء طريقاً إلى الله من غير متابعة محمد ﷺ فهو كافر من أولياء الشيطان[١٠٠]الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً .

والإيمان بالله عزّ وجل يقوى ويكمل بفضل الله تعالى وتوفيقه للعبد، ثم باتباع هدي الرسول ﷺ كما في حديث جبريل عليه السلام المشهور لما جاء إلى النبي ﷺ يسأله عن هذا الدين : « فعدد له رسول الله ﷺ شرائع الإسلام والإيمان فأجابه الرسول ﷺ، وهو يصدقه في ذلك كله ، ثم قال جبريل : فأخبرني عن الإحسان ؟ فقال الرسول ﷺ : ((أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك))[١٠١]. فهذا الحديث يشير إلى أن العبد ينبغي أن يعبد الله تعالى على هذه الصفة بمعنى أن يستحضر قربه من الله، وأنه بين يديه كأنه يراه، وذلك يوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم[١٠٢] .

الثانية : أداء الفرائض الظاهرة والباطنة :

والمقصود من هذا امتثال، الأوامر واجتناب النواهي بمعنى متابعة الرسول

ﷺ ظاهراً وباطناً، ويكون ذلك على الدوام والاستمرار ما دام المرء قادراً فلا يقطع من ذلك شيئاً كما قال تعالى : ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [سورة الحجر : الآية]٩٩، أي : الموت، والمعنى : استمر في جميع الأوقات على التقرب إلى الله بأنواع العبادات، وقد امتثل ﷺ أمر ربه فلم يزل دائباً في العبادة حتى أتاه اليقين، فليس لعمل المؤمن حد ولا نهاية إلاَّ الموت، وكلما زاد العبد في الطاعات ازداد في القرب من الله تعالى والعكس صحيح، فكل ما ابتعد عن طاعة الله تعالى ازداد عن الله بُعْداً .

وهذا يرد على من زعم إسقاط التكاليف الشرعية، عن طائفة تدعي أنها وصلت الغاية القصوى من الولاية، ممن يعرف عند المتصوفة بالواصلين(١٠٣)فمثل هؤلاء وإن ادّعوا الولاية أو الوصول ولم يتابعوا الرسول عليه الصلاة والسلام، فليسوا بأولياء الله تعالى، بل هم من أعدائه -عز وجل - وأولياء الشيطان وإن ظنوا أنهم أولياء أو ظن بهم غيرهم ذلك .

إذاً فلا بد من أداء الفرائض والطاعات المفروضة ؛ لأنها من أعظم ما يتقرب به إلى الله كما في الحديث القدسي السابق : ((وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مِمَّا افترضته عليه))، وقال عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - : ((أفضل الأعمال أداء ما افترض الله، والورع عن ما حرّم الله وصدق النية فيما عند الله عزّ وجل))(١٠٤)، وقال عمر بن عبدالعزيز (ت ١٠١هـ) - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - في خطبته : ((أفضل العبادة أداء الفرائض واجتناب المحارم))(١٠٥) ؛ وذلك لأنّ الله عزّوجل إنّما افترض على عباده هذه الفرائض ليقربهم منه ويوجب لهم رضوانه ورحمته .

وأيضاً فإن في أداء الفرائض الامتثال والخضوع لأمره تعالى، وهذا يعد

مظهراً من مظاهر الطاعة والتعظيم لله – عز وجل-كما قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾[سورة الحج: الآية ٣٢].

ومن هنا فليس أداء الفرائض مسقطاً للعقوبة فقط، دون ترتب المثوبة عليه، وإنَّما إذا أدّى الفرض بإخلاص كان له من الثواب إلى جانب النجاة من العقاب، ما يتكافأ مع نية الأداء والإخلاص(١٠٦) ومنها المحبة والتقرب بقدر ذلك .

ومن المعلوم أن من الفرائض ما هو ظاهر من أعمال الجوارح كالصلاة، ومنها ما هو باطن كأعمال القلوب كالإخلاص، وأن أداء كل منهما لابد منه فلايكفي العمل الظاهر عن أعمال القلوب، ولا أعمال القلوب عن أعمال الجوارح، ما دام المرء قادراً عليها، وقد اتفق العلماء على أن المكره على الكفر يجوز له أن يوالي إبقاء على مهجته ويجوز له أن يأبى(١٠٧)، واستدلوا بما حدث في عهد الرسول ﷺ من فعل عمار بن ياسر – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – في الموالاة الظاهرة، وفعل بلال – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – في الإباء وقوله : لو علمت كلمة هي أغيظ لكم منها لقلتها(١٠٨) – يعني : أحد أحد – .

ولما كانت الفرائض الباطنة المؤهلة للولي، بعد الفرائض الظاهرة لكونها أبعد أثراً في تشكيل شخصية الولي، وهي أشق على النفس اهتم السلف بالحديث عنها، وعن شروطها وجعلوا لها مؤلفات خاصة فيما يعرف بأعمال القلوب، وكان بعضهم يبدأ كتبه بالحديث عنها(١٠٩) ؛ لأنه قد يكون هناك من يؤمن بالله وملائكته ورسله ... وفي قلبه شيء من الكبر أو الحسد أو العُجب أو غيرها من المعاصي الباطنة كالرياء أو خصلة من خصال النفاق ولهذا قال الرسول ﷺ ((إنّ الله لاينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم))(١١٠) أي : إنَّما تكون المجازاة

على ما في القلوب دون الصورة الظاهرة، وجاء النهي عن سوء الظن ((إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث))[١١١]، والمراد تحقيق الظن وتصديقه دون ما يهجس في النفس فإن ذلك لا يُملك، ولهذا لايكلف الإنسان بمنعه، وكذلك نهينا عن التكبر ((من مات وهو برئ من الكبر دخل الجَنَّة))[١١٢]، و ((لايدخل الجَنَّة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر))[١١٣]، وجاء الحث على الصدق، والنهي عن النفاق، وذم ذا الوجهين فقال عليه الصلاة والسلام : ((من كان له وجهان في الدنيا، كان له يوم القيامة لسانان من نار))[١١٤]، وغير ذلك مِمَّا بينه عليه الصلاة والسلام، كل ذلك مِمَّا ينقي نفس المؤمن حتى تكون مؤهلة لولاية الله تعالى ويعبد المرء ربه بجسمه كله ظاهره وباطنه ويحبه بقلبه كله.

الثالثة : التقرب إلى الله بالنوافل :

أي طلب القرب من الله - عزّ وجل - بكل ما ندب إليه سبحانه وتعالى من غير إيجاب[١١٥] و هذا التقرب يكون بعد أداء الفرائض وهي درجة السابقين الذين تورعوا عن دقائق المكروهات، ويوجب للعبد محبة الله كما قال ((ولايزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه)) فمن نال ذلك رزقه الله المحبة والطاعة والاشتغال بذكره عن سواه وغيرها من أجناس الطاعات من صلاة وصيام وحج وصدقة، وكل ما كان ثوابه أكثر كان فعله أفضل وكل ما ندب إليه ورغب فيه أو لازمه عليه الصلاة والسلام مع الترغيب للناس في فعله فهو أفضل من سواه، ومن أعظم ما يُمكن أن يتقرب به إلى الله تعالى من النوافل كثرة قراءة القرآن وسماعه بتفكر وتدبر، كما قال خباب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - لرجل: «تقرب إلى الله ما استطعت، واعلم أنك لن تتقرب إليه بشيء هو أحب إليه من كلامه»[١١٦]، وكثرة الذكر لله

تعالى فإنه أكبر مِمَّا سواه من الأعمال الصالحة ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [سورة العنكبوت: من الآية ٤٥].

فـ «إن الصلاة فيها مقصودان عظيمان : أحدهما أعظم من الآخر؛ فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهي مشتملة على ذكر الله تعالى، ولما فيها من ذكر الله تعالى، أعظم من نهيها عن الفحشاء»(١١٧).

قلت: ولابد من أن يتواطأ فيه القلب مع اللسان لما روى الإمام أحمد والشيخان - رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَى- : ((يقول الله: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم))(١١٨).

وقد حثّ الله على الذكر في مواضع كثيرة مثل قوله تعالى : ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ [سورة البقرة: من الآية ١٥٢]، وقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [سورة آل عمران من آية : ١٣٥] وفي السنة الكثير، وهو باب واسع من عرفها ولازمها كان له عظيم الأجر من دعاء الرب والتوسل إليه بأسمائه وصفاته وحمده وشكره، والذكر المطلق والمقيد، وأذكار الصباح والمساء والأوقات، وأذكار التوحيد وأدبار الصلوات، الصلاة على الرسول ﷺ والتسبيح والتحميد وعند الأذان وأدبار الصلوات ...(١١٩).

والحاصل أن من اجتهد في القرب إلى الله بالفرائض، ثم بالنوافل، قربه إليه ورقاه من درجة الإيمان إلى درجة الإحسان، فيصير يعبد الله على الحضور والمراقبة كأنه

يراه، فيمتلئ قلبه بمعرفة الله تعالى، ومحبته، وعظمته، وخوفه، ومهابته، وإجلاله، والأنس به، والشوق إليه، حتى يصير هذا مشاهداً له بعين البصيرة))(١٢٠).

ومن هنا يتضح : أن أولياء الله تعالى هم الذين رهنوا تصرفاتهم بما يريد الله تعالى منهم، ويحبهم لما يحب الله ورسوله، ويغضهم لما يبغضه الله ورسوله، كما في قوله عليه الصلاة والسلام : ((أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله))(١٢١)، وقوله عليه الصلاة والسلام : ((من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان))(١٢٢)، وقوله عليه الصلاة والسلام : ((..... من كان الله ورسوله أحب إليه مِمَّا سواهما، وأن يحب المرء لايحبه إلاّ الله...))(١٢٣) ومع هذا فهم في غاية التواضع والتذلل للرب تعالى (١٢٤)، لايبيحون لأنفسهم ولا لغيرهم أن يصفوا أنفسهم، بأنهم قد تحققت لهم ولاية الله، أو أن يوصف أحدٌ بذلك، إلاّ بنص من القرآن الكريم، أو من حديث رسول الله ﷺكما جاء في الصحيحين عن عمرو بن العاص - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول جهاراً من غير سر : إنَّ آل فلان ليسوا لي بأولياء)) يعني طافئة من أقاربه « إنما وليي الله وصالح المؤمنين»(١٢٥).

* * * * *

المبحث الرابع : علاقة الولاية بالكرامة

يعتبر التصديق بخوارق العادات والإقرار بكرامات الأولياء من أصول أهل السنة والجماعة، وكذلك ما يجريه الله – عزّ وجل- على أيدي عباده الصالحين في أنواع العلوم والمكاشفات والقدرة والتأثيرات، ولا ينكرونها كما ينكرها طائفة من أهل البدع، بل يوقنون أن الله تعالى الذي خلق الأسباب والمسببات قادر على خرق سنن

الكون لمن شاء من عباده الصالحين، نُقل عن الإمام أبي حنيفة(ت ١٥٠هـ) - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى - قوله : ((والآيات ثابتة للأنبياء، والكرامات للأولياء حق))[١٢٦] ويقول الإمام الطحاوي (ت ٣٢١هـ) - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى - : ((ونؤمن بما جاء من كراماتهم وصح عن الثقات من رواياتهم))[١٢٧] وقد نقل عن الإمام أحمد (ت ٢٤١هـ) - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى - أنه أنكر على من أنكرها وضلله وقال : ((وتوجد في زمن النبوة وأشراط الساعة وغيرهما ...))[١٢٨] فـ : ((من أصول أهل السنة التصديق بكرامات الأولياء وما يجريه الله على أيديهم من خوارق العادات كما جاء عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر قرون الأمة وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة))[١٢٩] .

معنى الكرامة لغة وشرعاً:

- الكرامة لغة : الآية أو الأمر الخارق للعادة الذي يكرم الله به أولياءه الصالحين من غير الأنبياء.
- وتعرّف شرعاً : بأنها أمر خارق للعادة، غير مقرون بدعوى النبوة يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح، ملتزم المتابعة، لنبي كلف بشريعته مصحوباً بصحة الاعتقاد والعمل الصالح علم بها أو لم يعلم، ولا تدل على صدق من ظهرت على يديه، ولا ولايته ولا فضله على غيره لجواز سلبها أو أن تكون استدراجاً له[١٣٠]، وتظهر بلا طلب ممن ظهرت على يديه ولاتكلف ((فإن ما غيب عن الإنسان ولا هو من التكاليف لايطالب به))[١٣١] .
- والكرامة ثابتة في بالكتاب، والسنة، والمشاهدات الحسية والقواطع العقلية،

ومما جاء في الكتاب العزيز قوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[سورة آل عمران : من الآية ٣٧].

قصة أصحاب الكهف وغيرها، وجاء في السنة النبوية ذكر كرامات لبعض الصالحين، سواء من هذه الأمة أو ممن قبلها، ومن ذلك : تكلم الطفل ببراءة جريج الراهب من فعل الفاحشة[١٣٢]، وانفراج الصخرة عن الثلاثة الذين أووا إلى الغار بعد أن وقعت وسدت باب الغار[١٣٣] .

وأمَّا كرامات الصحابة ومن بعدهم فكثيرة، فقد كان البراء بن مالك إذا أقسم على الله أبر قسمه[١٣٤] وسعد بن أبي وقاص كان مستجاب الدعوة[١٣٥] ومشى أمير البحرين العلاء بن الحضرمي على الماء مع جنوده[١٣٦]وألقي أبو مسلم الخولاني في النَّار فلم تحرقه[١٣٧].

- وكرامات الأولياء إنَّما حصلت لهم ((ببركة اتباع الرسول ﷺ وهي من آيات الأنبياء))[١٣٨] وهي أيضاً دالة على صدق الأنبياء وأن متبعيهم على الهدى والحق، ولذلك كان التصديق بها عند أهل السنة من أصولهم لما يتحقق بها من مصالح وحكم ((أعظمها الدلالة على كمال قدرة الله ونفوذ مشيئته، وأنه فعال لما يريد وأنه كما أن لله سننا وأسباباً تقتضي مسبباتها الموضوعة لها شرعاً وقدراً، فإن لله أيضاً سننا أخرى لايقع عليها علم البشر ولاتدركها أعمالهم وأسبابهم))[١٣٩] .

الفرق بين المعجزة والكرامة :

ويمكن التفريق بين المعجزة والكرامة بأن المعجزة أمر خارق للعادة يجريه الله على يد من يختاره لنبوته ليدل على صدق وصحة رسالته، بخلاف الكرامة ؛ فإنها لا تبلغ معجزات الأنبياء والمرسلين، وإن كان اسم المعجز يعم كل خارق للعادة سواء كانت معجزة لنبي أو كرامة لولي فإن الأئمة المتقدمين يسمون كرامات الأولياء خوارق ومعجزات إذا لم يكن هناك ما يقتضي اختصاص الأنبياء بذلك[١٤٠]، و المعجزة للنبي والكرامة للولي وإن كان في كل خرق للعادة .

ولكن الكرامة مهما بلغت فهي أقل درجة ومرتبة من معجزات الأنبياء والمرسلين ؛ لأن الخوارق على ثلاث مراتب ((آيات الأنبياء ثم كرامات الصالحين))[١٤١] وهي معجزة من فضل الله تعالى ((ثم خوارق الكفار والفجار كالسحرة والكهان))[١٤٢]، وهي من إعانة الشياطين لبني آدم فتكون خارقة لما اعتاده الناس وألفوه.

ولا يضر الولي أن لا تحصل له كرامة بل رُبَّمَا كان عدمها أنفع له في دينه، بخلاف الرسول فلابد له مما يظهر صدقه، ويعضد رسالته ، ولم يكن السلف يحرصون عليها، وكانوا يخفونها، ويخافون من ظهورها ومنهم من يسأل الله زوالها، ومع هذا فهي باقية إلى قيام الساعة .

أنواع الكرامة :

صفات الكمال ترجع إلى ثلاثة أنواع: هي العلم، والقدرة، والغنى ((وهذه الثلاث لاتصح على وجه الكمال إلاَّ لله وحده، فإنه الذي أحاط بكل شيء علماً، وهو على كل شيء قدير وهو غني عن العالمين))[١٤٣] وقد طالب العرب الرسول ﷺ تارة بعلم الغيب، وتارة بالقدرة على التأثير، وأحياناً يعيبون عليه الحاجة،

والبشرية،كما جاء في القرآن الكريم، ذكر هذه المواقف الثلاثة بقوله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ﴾ [سورة الأعراف : من الآية ١٨٧]، وفي قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾[سورة يونس : الآية ٤٨] .

وفي الموقف الثاني كانوا يطالبونه بالتأثير في السنن الطبيعية في مثل قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴾ إلى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾[سورة الإسراء : الآيات ٩٠ – ٩٣].

وكذلك طالبوه ﷺ بأن يكون له بعض صفات الملائكة أو يكون معه ملك ينذرهم ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴾[سورة الفرقان : الآية ٧]. فأمره الله تعالى بالتبرىء من ذلك فقال تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾ [سورة الأنعام: آية٥٠].

ثم تفصح الآيات عن حقيقة الرسول ﷺ بأنه لا يعلم الغيب، وأنه ليس ملكاً فتكون عنده الخزائن التي يمد منها غيره وإنَّما هو بشر لا يستغني عن المأكل والمشرب، فالوصف الذي يناسب حقيقته هو أنه متبع فحسب لما يوحى إليه من ربه،وهذا هو مقتضى ((طاعة الله وعبادته علماً وعملاً بالباطن الظاهر))[١٤٤] وكذلك لا ينال من صفات الكمال إلاَّ ما يعطيه الله تعالى منها، ومع هذا فقد جمع الله سبحانه وتعالى للرسول ﷺ بين أنواع المعجزات، والخوارق كما ثبت من إخباره عن الأمور الغائبة الماضية والحاضرة والمستقبلية ومعراجه إلى السموات، واهتزاز الجبل تحته

وتكثير الماء[١٤٥] والطعام[١٤٦] على يديه عليه الصلاة والسلام.

وصاحب الكرامة إن كانت كرامته من جهة العلم سمع ما لم يسمعه غيره أو يرى ما لم يره سواه في حال اليقظة أو المنام أو يعلم بما لم يعلمه غيره بالهام أو فراسة صادقة لعبد صالح .

وإن كانت من باب القدرة والتأثير، كدعوة مستجابة، أو رد ضالة أو عدم إحراق النَّار لمن وقع فيها، وقد حصل جنس هذا في الصحابة[١٤٧] وكثر فيمن جاء بعدهم، وكانت تلك الكرامات إمَّا لحاجة أو لحجة في الدين بحسب الحاجة .

((فإذا احتاج إليها الضعيف الإيمان أو المحتاج آتاه الله منها ما يقوي إيمانه، ويسد حاجته، ويكون من هو أكمل منه ولاية مستغنياً عن ذلك، فلايأتيه مثل ذلك لعلو درجته وغناه عنها لا لنقص في ولايته، ولهذا كانت هذه الأمور في التابعين أكثر منها في الصحابة))[١٤٨]، لكن ما يجريه الله تعالى على أيدي الرسل عليهم الصلاة والسلام أعظم درجة وأكثر مِمَّا يحصل لغيرهم ؛ لأن على أيديهم عليهم الصلاة والسلام هداية البشر فحاجتهم إليها أعظم وظهورها على أيديهم أكثر .

بعض الضوابط التي تعرف بها الكرامة من غيرها :

ولما كانت الكرامة قد تشتبه على بعض الناس بما قد يكون لغير المؤمنين، من خوارق، أو ما يحصل على أيدي السحرة،أو الكهان، أو المشعوذين، أو أهل الرياضات، أو أصحاب الحيل،أو غيرهم من أهل الشرك والبدع ؛ فقد بين العلماء الأمور التي تعرف بها الأحوال الرحمانية، من الأحوال الشيطانية لكيلا تلتبس أحوال أولياء الرحمن، بأحوال أولياء الشيطان، ويظن أن مجرد خرق العادة دليل الولاية والصلاح، وقد اجتهدت في استخلاص بعض الضوابط حسب ما ظهر لي

وهي :

أولاً : أن تكون هذه الكرامات على يد مؤمن تقي متبع لما جاء به الرسول ﷺ، محافظ على الفرائض، والسنن ،والنوافل، عالماً بأمر الله، عاملاً بما يعلم، ومن كان على نقيض هذه الحال فما ظهر على يديه من الخوارق فليس بكرامة، بل رُبَّمَا كان من المخاريق الشيطانية، كما هو الحال عند كثير من أدعياء الولاية .

فـ ((ينبغي أن يعتبر بحال من يقع الخارق منه، فإن كان متمسكاً بالشريعة متجنباً للموبقات، فالذي يظهر على يده من الخوارق كرامة وإلاَّ فهو سحر ؛ لأنه ينشأ عن أحد أنواعه كإعانة الشياطين))[١٤٩]. قلت:وقد يكون من الحيل والخدع وخفة الحركة، وأنواع الرياضات التي تحصل بالتعليم والتدريب عليها،كأعمال ما يعرف بـ «السيرك» المحرمة لما فيها من أكل أموال الناس بالباطل، وما يترتب عليها من مفاسد .

ثانياً: ألا تخالف الكرامة الشرع الذي جاء في الكتاب والسنة، ودعا إليه الرسول ﷺ ؛ لأن الشيطان يتعرض لابن آدم ؛ليفسد عليه دينه، وقليل هم الذين ينتصرون عليه، ويتمكنون من الخلاص من كيده، فإذا ما حصل شي من ذلك، وجب أن يعرض على الكتاب والسنة، ليُعلم مدى موافقته للشرع أو مخالفته له، ومن ثم يحكم بصحته أو بطلانه، وقد عرض الشيطان للنبي ﷺ في الصلاة ليقطع عليه العبادة[١٥٠] .

فإذا كان الشيطان يتعرض الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - ليؤذيهم ويفسد عليهم عبادتهم، فيدفعه الله تعالى بما يؤيد به أنبياءه فكيف بمن هو دون الأنبياء .

وكثير من العُبّاد قد يظهر لهم الشيطان بصورة فيوهمه أنه رأى الله فيحل له محرماً أو يسقط عنه واجباً،كما ذُكر أن الشيخ عبدالقادر الجيلاني (ت ٥٦١ هـ) قال: ((كنت مرة في العبادة فرأيت عرشاً عظيماً وعليه نور فقال لي : يا عبدالقادر : أنا ربك وقد حلّلت لك ما حرمت على غيرك، قال: فقلت له : أنت الله الذي لا إله إلاَّ هو ؟، اخسأ يا عدوالله . قال : فتمزق ذلك النور وصار ظلمة....))(١٥١) .

فمثل هذا قد يحصل لبعض الناس ويظن أنها كرامة (١٥٢)، وهي حال شيطانية يلتبس أمرها على من لم يكن على فقه وعلم بشرع الله تعالى، وكم اغتر قوم بما يشبه الكرامة.

فمتى كان الشخص عالماً بحقائق الإيمان الباطنة، فارقاً بين الأحوال الرحمانية، والأحوال الشيطانية فقد قذف الله في قلبه من نوره، كما قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ [سورة الحديد : من الآية ٢٨]، فهذا من المؤمنين الذين جاء فيهم الحديث (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله)(١٥٣)، فإذا كان العبد على هذه الحال، فرق بين ما يجري على أيدي المؤمنين وغيرهم، وعلم أن خوارق الأنبياء وكرامات الأولياء لا تخالف الشرع، بل تأتي مؤيدة له ومؤكدة لما فيه فإذا خالفته بتحريم ما أحل أو تحليل ما حرم فليست بكرامة وإنما هي من كيد الشيطان أعاذنا الله منه.

ثالثاً: أن هذه الكرامات كانت تحصل للصحابة دون تكلف منهم أو تطلّب لها، أو رياضات يستجلبون بها هذه الخوارق، بل تقع إكراماً من الله لهم أو دعاءً يرون فيه مصلحة دينية إمّا لحجة أو لحاجة للمسلمين،كدعاء بعضهم في حال المعارك مع

الأعداء، أو جدب السنين، بخلاف ما عليه المتأخرون، من طلب وتكلف بالرياضات الروحية، وربما أفسد بعضهم جسمه ونفسه بسبب هذا مع أن طلب الكرامة ليس عليه دليل، بل الدليل على خلاف ذلك، فإن ما غُيِّب عن الإنسان ولا هو من التكاليف لايطالب به، بل رُبَّمَا كان هذا من التأثر بالفلاسفة حيث يقررون رياضات معينة للوصول إلى هذه الخوارق(١٥٤).

هل الكرامة شرط في الولاية ؟

الأصل ألاَّ تطلب الكرامة لذاتها بل الأصل طلب الصلاح والتقوى وألا تتخذ وسيلة للتعالي على الناس ؛ لأنها ليست دليلاً على تفضيل المعطى على غيره، فلايشغل المرء نفسه بالتطلع إليها ولايحزن إذا لم تحصل له، فليس من شرط الولي وعلامته ظهور الكرامة على يديه، بل ربما كان من لم يظهر له شيء من ذلك أفضل حالاً ممن ظهر على يديه شيء منها، فقد يعطى لحاجة أو لاقامة حجة أو للتثبيت عند الشدائد،وذلك بحسب ما تقتضيه حكمة الله تعالى، وقد يكون ذلك استدراجاً، فليحذر الانسان من تلبيس الشيطان وأتباعه، وقد فرق الله تعالى بين أوليائه وأعدائه في كتابه،كما قال تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [سورة يونس: الآية ٦٢].

فقد ذكر سبحانه أن أوليائه هم المتصفون بهذه الصفات، ولم يشرط لهم تعالى أنه يجري لهم الخوارق والكرامات، فدل على أن الشخص يكون ولياً لله تعالى وإن لم يجر على يديه شيء من تلك الأحوال مادام مؤمناً تقياً، فلا تلازم بين خرق العادة والولاية .

ولو كانت الخوارق دليلاً على ولاية الله لمن ظهرت على يديه من البشر

لكانت حال السحرة والكهان وأمثالهم، ورهبان النصارى واليهود وأصحاب الحيل من أهل البهلوانية والخفة وعبدة الشياطين، دليلاً على صلاحهم وولايتهم، وهذا خطأ يعرفه من قذف الله في قلبه نور الإيمان، «وقد ذُكر أن بعض الناس تحمله الشياطين فلما قال : لا إله إلا الله سقط»[١٥٥] فلا يغتر بمن ظهر على يديه شيء من ذلك، حتى يعلم متابعته للرسول ﷺ وموافقته لأمره حتى لو طار في الهواء أو مشى على الماء، بل يعرف أولياء الله بصفاتهم وأحوالهم وأفعالهم التي دل عليها الكتاب والسنة وبها يكون معرفة الولي من غيره[١٥٦]. «وأبو بكر الصديق أفضل من عمر، وأبو بكر لم يكن محدثاً مثل عمر، وكان يأخذ من مشكاة النبوة، ما لم يأخذه غيره من التحديث، وهذا أفضل وأكمل، فإن من كان الرسول ﷺ واسطة بينه وبين الله تعالى في كل شيء فهو أكمل وأفضل ممن الواسطة بينه وبين الله قلبه»[١٥٧].

قال أبو علي الجوزجاني (ت قبل ٤٠٠هـ): ((كن طالباً للاستقامة لا طالباً للكرامة، فإن نفسك منجبلة على طلب الكرامة، وربك يطلب منك الاستقامة))[١٥٨] .

قال الشيخ السهروردي (ت ٦٣٢ هـ) في عوارفه معلقاً على هذا القول : ((وهذا الذي ذكره أصل عظيم كبير في الباب وسر غفل عن حقيقته كثير من أهل السلوك والطلاب))[١٥٩] .

نماذج من الكرامات:

- قصة الصديق في الصحيحين، لما ذهب بثلاثة أضياف معه إلى بيته وجعل لا يأكل لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها، فشبعوا، وصارت أكثر مما هي قبل ذلك فنظر إليها أبو بكر وامرأته، فإذا هي أكثر مما كانت، فرفعها إلى رسول

الله ﷺ، وجاء إليه أقوام كثيرون فأكلوا منها وشبعوا[١٦٠].

- وفي الصحيحين عن النبي ﷺ : (قد كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي أحد. فعمر منهم)[١٦١]. والمحدث : الملهم . قال ابن عمر : ما كان عمر يقول في شيء : إني لأراه كذا إلا كان كما يقول.
- وكان عمر ﷺ يقول : اقتربوا من أفواه المطيعين، واسمعوا منهم ما يقولون فإنه تتجلى لهم أمور صادقة[١٦٢].
- وقصته مع سارية بن حصن عندما ناداه : يا سارية، الجبل الجبل مشهورة[١٦٣].
- وكان أسيد بن حضير ﷺ إذا قرأ القرآن نزلت الملائكة لقراءته، فيراها مثل الظلة فيها أمثال السرج[١٦٤].
- وكانت الملائكة تسلم على عمران بن حصين[١٦٥].
- وكان سلمان وأبو الدرداء رضي الله عنهما يأكلان في صحفة، فسبحت الصحفة، أو سبح ما فيها[١٦٦] .
- وعبّاد بن بشر، وأسيد بن حضير خرجا من عند رسول الله ﷺ في اليلة مظلمة، فأضاء مثل طرف السوط، فلما افترقا افترق الضوء معهما[١٦٧].
- وخبيب بن عدي ﷺ كان أسيراً في مكة عند المشركين، وكان يؤتى بعنب يأكله وليس بمكة عنبة[١٦٨].
- وخرجت أم أيمن رضي الله عنها مهاجرة وليس معها زاد ولا ماء فكادت تموت من العطش، فلما كان الفطر وكانت صائمة، فإذا دلو معلق فوق رأسها

فشربت منها حتى رويت وما عطشت بقية عمرها[١٦٩].

- وسفينة مولى رسول الله ﷺ أخبر الأسد بأنه رسول رسول الله ﷺ فمشى معه الأسد حتى أوصله مقصده[١٧٠].

وقد نقل أمثال هذه الكرامات كثير من العلماء الأثبات في مصنفاتهم، كما في دلائل النبوة، وصفة الصفوة،والفرقان، والصفدية، وقطر الولي للشوكاني والإنصاف للصنعاني، وغيرهم رحمهم الله جميعاً.

المبحث الخامس : ثمرات الولايـــــة الرحمانية

يظن كثير من الناس الذين لا يعرفون حقيقة مذهب السلف في الإيمان والتقوى،والمجاهدة الروحية، ومن ليس له إطلاع ومعرفة بأقوالهم الفسيحة[١٧١] أنهم عندما يهتمون بسد ذرائع البدع، ويغلظون القول على من خالف الشريعة، من المصنفين المختلط كلامهم بفلسفة المتفلسفة، أنهم ينكرون كل أثر لأعمال القلوب في نفس المؤمن، وأنها لا تفيده أمناً حين يخاف الناس وسكينة حين يقلقون، ولا نوراً يبصر به في الظلمات، ولا فرقاناً يميز به بين المشتبهات، ولا هداية تنحل بها العقد والمشكلات، وأن شأن المؤمن التقي المحاسب لنفسه، المراقب لمعبوده المخلص في عبادته ونيته، كشأن العاصي المسرف على نفسه بالمعاصي أو الغافل عن ذكر ربه الناسي لآخرته إذا استويا في الذكاء والتحصيل والعمل [١٧٢]. وربما يؤيد هذا الظن ما قد يلحظ من جمود عند البعض من أدعياء السلفية [١٧٣]. وزاد في ذلك ما يوجد عند بعض الصوفية، من إلغاء العقل، أو ما يتلفظ به أولياؤهم من ألفاظ غير معقولة، أو تتضمن كفراً وزندقة، ويقولون: إنها خرجت في حال لا يلبث أن يرجع عنها، وهذا ما يفهمه العوام عن الأولياء بأنهم مجموعة من المهبولين، أو

المخبولين أو المجانين وهذا فهم خاطئ وانحراف شديد عن معنى الولي في الشرع.

ويمكن الإشارة إلى بعض ثمرات الولاية الرحمانية فيما يأتي:

فأقول: إن أهم ما يهدف إليه السالكون إلى الله تعالى، الوصول إلى محبة الله تعالى،ونيل رضاه سبحانه، حتى يكونوا في جواره في مقعد صدق عند مليك مقتدر، فتحل عليهم من بركته ورضوانه، ولا شك أن إدراك هذا غاية عظمى، يسعى إليها كل مؤمن عرف الله حق المعرفة، وعرف حقيقة الحياة الدنيا.

فالله عز وجل قال عن المؤمنين إنه : «يحبهم ويحبونه» ومقتضى هذا أنهم عملوا برضوان الله من محابه فأحبهم، وجازاهم بمحبته ورضوانه، ولكن هذه الغاية تسبقها بعض الثمار ينالها ولي الله تعالى سواء في الدنيا أم عند سكرات الموت، أو في البرزخ، أو في عرصات القيامة ، ولو تتبعت ذلك كله لطال الكلام، ولكن المقصود الأشارة إلى بعض ثمار الولاية في ضوء الآيات والأحاديث المتعلقة بالولاية والأولياء. فالله عز وجل يقول : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [سورة يونس : الآيات ٦٢-٦٤].

وفي الحديث القدسي السابق:«من عادى لي ولياً فقط آذنته بالحرب...إلخ» فأولياء الله تعالى هم الذين أخبر عنهم -وتقدم ذلك – هم المؤمنون حقاً، والمتقون حق التقوى، الذين هم أحباؤه، لما ذكر أعمالهم

وأوصافهم، ختم الحديث بذكر جزاءهم في الدنيا والآخرة.

فأولى تلك الثمار : التحقق بالإيمان الذي وقر في القلب، وصدقه العمل الذي يقتضي إمتثال الأوامر، واجتناب النواهي، مع مراقبة الله تعالى في السر والعلن أي أن تعبد الله كأنك تراه،، وذلك أعلى مراتب الإيمان وهو مقام الإحسان والمراقبة، ولا يصل إليه إلا الخلّص من عباده الذين اصطفاهم، والإيمان وإن كان بداية الطريق للولاية، فهو نهايتها أيضاً، ولكن على هذه الصفة الكاملة، والإيمان درجات، وهو يزيد وينقص، ولهذا كان السلف، يتعاهدون إيمانهم ويسألون الله زيادته وتثبيته، قال أبو الدرداء ﷺ : من فقه العبد، أن يتعاهد إيمانه وما نقص منه، ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد هو أم ينتقص؟ وكان عمر ﷺ يقول لأصحابه : هلموا نزدد إيماناً فيذكرون الله عز وجل(١٧٤)، وكان ابن مسعود ﷺ يقول في دعائه : «اللهم زدنا إيماناً ويقيناً وفقهاً»(١٧٥) إلى غير ذلك مما ورد عن السلف.

الثانية : توفيق الله تعالى لعبده المؤمن،وتسديده في أفعاله، وأقواله، وأموره بحيث تصبح في جلها صالحة مقبولة موافقة للصواب والهدى، كما قال تعالى : ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ﴾ [سورة النور: آية ٥٤]، وهو مقتضى «كنت سمعه الذي يسمع به ...إلخ» ولهذا كان أنفع الدعاء، وأعظمه وأحكمه دعاء الفاتحة ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝ ﴾ [سورة الفاتحة : آية ٦-٧] . فيطلب من الله تعالى الهداية الدائمة؛ لأنها بيده سبحانه وذلك منه وحده تعالى؛ فإنه إذا هدى عبده وسدده لطريق الصراط المستقيم أعانه على طاعته، وترك معصيته فلم يصبه شر لا في الدنيا، ولا في الآخرة، ثم بعد هدايته إلى ما يجب عليه فعله وإلى ما يجب تركه، وهناك هداية إلى طريق الجنة في

الآخرة، «ولهذا كان الناس مأمورين بهذا الدعاء في كل صلاة لفرط حاجتهم إليه فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى هذا الدعاء»(١٧٦). وكان من دعائه عليه الصلاة والسلام ما روي عن علي ﷺ : «قل اللهم اهدني وسددني..»(١٧٧). وروي عن الحسن ﷺ عن النبي ﷺ: «اللهم اهدني فيمن هديت...»(١٧٨) فلا ينفك المسلم عن طلب الهداية والسداد حتى الموت.

الثالثة: الأمن من الخوف،كما قال تعالى : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ [سورة يونس : آية ٦٢] والمقصود إنهم لا يخافون مما يستقبلونه مما أمامهم من المخاوف التي تتلقى غيرهم من أهوال يوم القيامة، وكيف يخاف أولياء الله وهو معهم في كل شأن من شؤونهم،وفي كل عمل!، فهم على اتصال دائم به ؛ لأنهم أولياؤه ولا يمكن أن يتركهم في ساعات الشدة، وقد اتصلوا به في ساعات الرخاء، كما قال ﷺ «تعرَّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة»(١٧٩) ومن أوفى بعهده من الله سبحانه وتعالى.

الرابعة : عدم الحزن على ما أسلفوا؛ لأنهم لم يسلفوا إلا صالح الأعمال، ولم يفرطوا ولم يسرفوا على أنفسهم بتضييع أعمارهم فيما لا ينفع، أو يعود عليها بالحسرة والثبور، وإذا كانوا لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ثبت لهم الأمن والسعادة، والخير الكثير الذي لا يعلمه إلا الله تعالى.

الخامسة: البشارة في الدنيا وفي الآخرة : أما في الدنيا، فهي بالثناء الحسن والمودة في قلوب المؤمنين، والرؤيا الصالحة، وما يراه العبد من لطف الله به وتيسيره لأحسن الأعمال، والأخلاق، وصرفه عن مساوىء الأخلاق .

وأما في الآخرة، فأولها البشارة عند قبض أرواحهم كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[سورة فصلت:آية ٣٠].

وفي القبر ما يبشر به من رضا الله تعالى والنعيم المقيم، وفي الآخرة، تمام البشرى بدخول جنات النعيم، والنجاة من العذاب الأليم (١٨٠).

وأخرج ابن جرير، وأبو الشيخ، وابن مردويه، عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ – في الآية – «لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة» . قال : في الدنيا الرؤيا الصالحة يراها العبد الصالح أو ترى له، وهي في الآخرة الجنة»(١٨١) وقيل : المراد بذلك بشرى الملائكة للمؤمن عند احتضاره بالجنة والمغفرة كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[سورة فصلت : آية ٣٠] وفي حديث البراء ﷺ : «إن المؤمن إذا حضره الموت جاءه ملائكة بيض الوجوه بيض الثياب، فقالوا: أخرجي أيتها الروح الطيبة إلى روح وريحان ورب غير غضبان، فتخرج من فمه كما تسيل القطرة من فم السقاء»(١٨٢).

وأما بشراهم في الآخرة فكما قال تعالى: ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[سورة الأنبياء، آية ١٠٣] وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم

بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [سورة الحديد: آية ١٢].

والحاصل أن البشرى شاملة لكل خير وثواب، رتبه الله في الدنيا والآخرة على الإيمان والتقوى الذين هما مضمون الولاية، ولهذا أطلق ذلك ولم يقيده(١٨٣) وذلك فضله يؤتيه من يشاء نسأل الله تعالى من فضله وكرمه.

السادسة : تجلي الأمور وتكشف الحقائق عند الفتن وورود المتشابهات . فالولي الصادق لما اعتصم بكتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، ووقر في قلبه أن الشريعة كاملة، وكافية لمصالح العباد في الدنيا والآخرة، وعمر قلبه بتقوى الله ومراقبته عملاً بقوله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ ﴾ [سورة البقرة : من آية ٢٨٢]، ومتابعة رسول الله ﷺ ؛ فإنها تنحل له حقائق لا يعرفها صاحب القلب المنكوس المحجوب بالران والصدأ، بل ويجعل الله في قلبه نوراً يفرق به بين الأشياء، وهذا مما قد يعبر عنه بالفراسة التي سببها الإيمان وهي «نور يقذفه الله في قلب عبده وحقيقتها أنها خاطر يهجم على القلب يثب عليه كوثوب الأسد على الفريسة، وهذه الفراسة على حسب قوة الإيمان فمن كان أقوى إيماناً فهو أحدُّ فراسةً، قال أبو سليمان الداراني (ت ٢١٥هـ) رحمه الله : «الفراسة مكاشفة النفس ومعاينة الغيب، وهي من مقامات الإيمان»(١٨٤)

فإذا وقع عند الولي «وحصل في قلبه ما يظن معه أن هذا الأمر، أو هذا الكلام أرضى لله ولرسوله، كان ترجيحاً بدليل شرعي، والذين أنكروا كون الالهام ليس طريقاً إلى الحقائق مطلقاً أخطأوا، فإذا اجتهد العبد في طاعة الله تعالى وتقواه، كان ترجيحه لما رجح أقوى من كثير من الأقيسة الضعيفة والموهومة، والظواهر، والاستصحابات الكثيرة، التي يحتج بها كثير من الخائضين في المذاهب والخلاف

وأصول الفقه[١٨٥].

وقد قال عليه الصلاة والسلام : « الصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء »[١٨٦].

ومن معه نور وبرهان وضياء كيف لا يعرف حقائق الأشياء من فحوى كلام أصحابها ؟ وقال ابن مسعود ﷺ: «الاثم حوّاز القلوب»[١٨٧] فإذا كان القلب معموراً بالإيمان، والتقوى انجلت له الأمور، وانكشفت بخلاف القلب الخراب المظلم، قال حذيفة ﷺ: «إن في قلب المؤمن سراجاً يزهر»[١٨٨]، فكلما قوي الإيمان قوي انكشاف الأمور له، وعرف حقها من باطلها، وكلما ضعف الإيمان ضعف الكشف،وذلك مثل السراج القوي والضعيف في البيت المظلم ولهذا قال بعض السلف في قوله :﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾ [سورة النور: آية ٣٥].

قال : هو المؤمن ينطق بالحكمة المطابقة للحق، وإن لم يسمع فيها بالأثر، فإذا سمع فيها بالأثر كان نوراً على نور[١٨٩]، فالإيمان الذي في قلب المؤمن يطابق نور القرآن، وهكذا في حال إقبال الفتن لا يعرفها إلا العلماء الربانيون أهل الإيمان، وأما إذا أدبرت عرفها كل أحد، وانكشف أمرها لكل الناس، وفي قصة الدجال وخروجه ما يوضح ذلك ويجليه، والكلام يطول في مثل هذا المقام نسأل الله الهداية والتسديد.

السابعة: إجابة الدعاء وكشف الكروب: لأن الدعاء هو العبادة بل هو مخ العبادة، فالتوفيق إليه توفيق إلى عبادة جليلة، تترتب عليها فوائد عظيمة، مع ما في ذلك من امتثال الأمر الرباني،حيث يقول : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[سورة غافر: آية ٦٠]. وقوله سبحانه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ

﴿إِذَا دَعَانِّ﴾[سورة البقرة :آية ١٨٦].

وقال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ [سورة الأنفال : أية ٢٩]، أي مخرجا(١٩٠) وهو قول : ابن عباس والحسن والسدي ومجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة ومقاتل ابن حيان(١٩١) ، وزاد مجاهد : في الدنيا والأخرة، وفي رواية عن ابن عباس ﴿ فُرْقَانًا ﴾نجاة، وفي رواية نصرا، وفي رواية فصلا بين الحق والباطل(١٩٢)، قال بعض السلف : ((ما احتاج تقي قط، لقوله تعالى ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[سورة الطلاق أية ٢-٣]، فقد ضمن الله للمتقين أن يجعل لهم مخرجا مما يضيق على الناس، وأن يرزقهم من حيث لا يحتسبون، فإذا لم يحصل ذلك، دل على أن في التقوى خللا، فليستغفر الله وليتب إليه، ثم قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾[سورة الطلاق: أية ٣]، أي فهو كافيه لا يحوجه إلى غيره)) (١٩٣) وجاء في الحديث القدسي : (وإن سألني لأعطيته) في حديث أبي أمامة «إذا استنصرني نصرته»(١٩٤) وفي حديث أنس « وإذا نصحني نصحت له»(١٩٥) وقال الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) : جاء في ظاهر هذه الألفاظ العموم فيجاب له كل مطلب ويعاذ من كل ما استعاذ منه»(١٩٦) وقال ابن حجر (ت ٨٥٢هـ) رحمه الله: «وقد استشكل بأن جماعة من العباد والصلحاء دعوا وبالغوا ولم يجابوا»(١٩٧).

والجواب : أن الاجابة تتنوع، فتارة يقع المطلوب بعينه على الفور، وتارة يقع ولكن يتأخر لحكمة فيه، وتارة قد تقع الإجابة ولكن بغير المطلوب، حيث لا تكون في المطلوب مصلحة ناجزة، وفي الواقع مصلحة ناجزة أو أصلح منها»(١٩٨).

وعن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث : إما أن يعجل له دعوته، وإما يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها»(١٩٩).

وهنا يرد سؤال : ما الفرق بين الولي وغيره، في هذا ما دام الله هو المتفضل عليه وعلى المقصر والعاصي والمظلوم، وربما أعطى من غير سؤال .

قال الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) : «إذا أعطوا بعد السؤال، وأعيذوا بعد الاستعاذة، عرفوا أن الله سبحانه قد أجاب لهم الدعاء،وتلك منقبة لا تساويها منقبة،ورتبة تقاصر عنها كل رتبة، وعند ذلك يحصل لهم السرور، وما لا يقادر قدره، ويكونون عند هذه الإجابة أعظم سروراً بها من العطية، وإن بلغت أعظم مبلغ في الكثرة والنفاسة، وعند ذلك يستكثرون من أعمال الخير ويبالغون في تحصيلها ؛ لأنهم قد عرفوا مآلهم عند ربهم، حيث أجاب دعاءهم ولبى نداءهم»(٢٠٠) . ومع ما فيه أيضاً من خلوص عباده من الاستكبار على ربهم،الذي ورد عليه الوعيد بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [سورة غافر : آية ٦٠]. أي دعائي.

فكانت الفوائد ثلاثاً :

الأولى : الظفر بالمرتبة العلية، من كونهم من مجابي الدعوة.

الثانية: ما في ذلك من العبادة لله عز وجل بدعائه.

الثالثة: توقيهم لما خوطب به غيرهم من المستكبرين عن الدعاء.

ومع هذا فلا شك أن بعض المسببات مربوطة بأسبابها . فمن العطايا مالا

يحصل للعبد إلا بسبب الدعاء، فالولي وإن كان في أعلى مراتب الولاية لا ينال ما قيده الله بسبب إلا بفعل ذلك السبب، فكان في الدعاء من هذه الحيثية فائدة رابعه لأن العبد لا يتيسر له أن يقطع بوصول مطلوب من مطالبه إليه حتى يترك الدعاء لربه عز وجل بأن يوصله إليه»(٢٠١)، أي أن العبد مهما بلغ في الولاية غير مستغنٍ عن الله، ولا يعلم أن مطلوبه من ربه يصل إليه ولو لم يدع خالقه عز وجل، إذاً فلابد من الدعاء وقد جعل الله لكل شيء سببا .

وإذا كان الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لا ينقطعون عن الطلب من الله والرجاء له والخوف منه، فكيف ينقطع الولي عن الطلب، فإنه إن انقطع عن ذلك كان ممكوراً به، ورجع عدواً لله بعد أن كان ولياً له (٢٠٢). اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة اللهم آمين.

* * * * *

الخاتمـــة في أهم نتائج البحث

وبعد .. فلعله قد اتضح من هذه الدراسة، المعنى الشرعي للولي والولاية وما لهما من منزلة رفيعة، ودرجة عالية عند الله تعالى وعند عباده المؤمنين ومن ثم فإنه يسعى إليها كل مسلم و يتشوف لها كل مؤمن، وأن علاماتها واضحة للسالكين مبينة للقاصدين من كتاب رب العالمين وسنة سيد المرسلين يحظى بها كل من له نصيب من الإيمان والتقوى .

- أن درجات الأولياء تتفاوت بحسب الإيمان والتقوى و إخلاص العمل لله تعالى.
- أن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين قد نالوا منها أوفر الحظ والنصيب بعد الأنبياء والمرسلين بشهادة رب العالمين ورسوله الأمين .

- أن الولاية ليست حكراً على طائفة خاصة، أو سلالة معينة، لاتخرج عنها، بل من كان مؤمناً تقيا كان لله وليا .
- أنه لا يصح الخلط بين كرامات الأولياء، وخوارق السحرة والمشعوذين وسائر أهل الضلال الذين يسقون الناس شراب الكفر في آنية الأنبياء والأولياء، فإن الكرامة فضل من رب العالمين لا دخل للخلق فيها أما ما عداها فهي من مساعدة الشياطين أو الخدع التي لا يعرفها عامة الناس.
- أن الكرامة ليست شرطاً في ولاية الشخص، ولا قربه من الله وإنما يجريها الله على يد من شاء من عباده بحكمته وفضله، فلا يحزن من لم يكن له شيء من ذلك ؛ لأن الخير قد يكون في عدمها بالنسبة له .
- أن العبرة بالخواتيم، وما يقبض عليه الإنسان من إيمان وتقوى، فلا يعلم ولي الله على الحقيقة إلا يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت، وإن كانت قد تظهر بعض ثمار الولاية من إجابة الدعاء، وكشف الكروب، والنصر على الأعداء ...
- أن الدين القويم يتضمن العلم والعمل والتواضع وهو المقياس الصحيح في معرفة الخوارق كما قرره سلف الأمة وعلماؤها . وبه يعرف الولي الحقيقي الذي يحبه الله تعالى ويدنية، من غيره .
- عظم قدر الولي عند الله تعالى لكونه خرج عن تدبيره إلى تبدير ربه، وعن انتصاره لنفسه إلى انتصار الله له وعن حوله وقوته إلى توكله[٢٠٣] على الله عز وجل دون سواه.

والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

هوامش البحث

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس(١٤١/٦) مطبعة الحلبي القاهرة ط٢، تحقيق عبدالسلام هارون سنة ١٣٨٩هـ.

(٢) القاموس المحيط (٤٠٤/٤)، المؤسسة العربية للطباعة والنشر .

(٣) لسان العرب (٤٠٧/١٥)، أساس البلاغة للزمخشري (ص ٦٨٩) .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة (٤١٦/٣)، برقم (١٤٩٣) .

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الفرائض (٢٨/١٢) برقم (٦٧٤٥) .

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الطب (٢٢٧/١٠) برقم (٥٧٦٢) .

(٧) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان (١٢٨٤/٣) برقم (١٦٦٣) .

(٨) لسان العرب (٤٠٧/١٥) .

(٩) لسان العرب لابن منظور (٤٠٧/١٥)، ط دار صادر - بيروت ١٤١٤ هـ .

(١٠) المرجع السابق .

(١١) المرجع السابق.

(١٢) المرجع السابق.

(١٣) دستور العلماء للقاضي أحمد نكري (٤٦٥/٣)، التعريفات للشريف الجرجاني ص ٢٤٩، كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (ص ١٨٠٥)، والفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (ص ٢١٤) .

(١٤) قطر الولي ص (٢٣٧).

(١٥) فتح القدير (٤٣٦/٢).

(١٦) فتح الباري (٢٩٣/١٣)، وينظر عمد القاري (٨٩/٢٣).

(١٧) الأحاديث القدسية ص (١٣٨).

(١٨) مجموعة الرسائل والمسائل (٤٠/١-٤١)، (١٥٠/١).

(١٩) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص (٥٣)، بتحقيق اليحيى.

(٢٠) تفسير الإمام ابن جرير الطبري (١٣٢/٧).

(٢١) ينظر: قطر الولي ص (٢٣٧).

(٢٢) ينظر: الإنصاف للصنعاني (ص ٤٤).

(٢٣) جزء من حديث طويل صحيح مسلم (٣٧/١).

(٢٤) بتصرف من كتاب الانصاف للصنعاني، ص (٤٤-٤٦).

(٢٥) النهاية في غريب الحديث(٥/ ٢٢٧)، القاموس المحيط (ص١٧٣٢)، مختار الصحاح (ص٣٠٦)، القواعد المثلى لابن عثيمين ص ٢٣ ط . دار الوطن ١٤٢٩هـ، معجم متن اللغة لأحمد رضا (٨١٧/٥) .

(٢٦) النهاية لابن الأثير (٢٢٧/٥) .

(٢٧) لسان العرب لابن منظور (٩٨٥/٣) .

(٢٨) المختصر في تفسير القرآن (ص٤٤٧) لابن صمادح التجيبي الأندلسي المتوفى ٤١٩هـ .

(٢٩) تفسير القرطبي (١٦١/٨) .

(٣٠) تفسير ابن سعدي (٥٧٧/٦) .

(٣١) ينظر : تفسير ابن سعدي (٣٩١/١)، (٤٣٤/١) .

(٣٢) المختصر في التفسير لابن صمادح (ص١٤٠) .

(٣٣) المرجع السابق (ص١٧٩) .

(٣٤) معالم التنزيل للبغوي (٣٠٢/٢) .

(٣٥) القرطبي (٤٢٤/٥)، (٢٣٢/١٥)، فتح القدير (٤٤٩/٢) .

(٣٦) ينظر تفسير ابن كثير (٣٠٦/٢) وتفسير ابن أبي حاتم (١٦٩٤/٥، ١٦٩٥).

(٣٧) تفسير الطبري (٥٧/٨) .

(٣٨) تفسير ابن سعدي (١٩٥/٣) .

(٣٩) فتح القدير للشوكاني (٣/٢٩٠)، وتفسير السجستاني (١٤١/٦).

(٤٠) ينظر فتح القدير للشوكاني (٥١/٢) وتفسير ابن سعدي (٣١٠/٢ - ٣١١) .

(٤١) تفسير القرطبي (٢٠٢/٨) .

(٤٢) ينظر : تفسير ابن سعدي (٢٦٤/٣ - ٢٦٥)، وفتح القدير (٣٨١/٢)، وتفسير القرطبي (٢٠٢/٨) .

(٤٣) الإشارة إلى آية العنكبوت «مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ». فذكر أنهم ضعفاء وأن الذين اتخذوهم أضعف منهم. ينظر: التفسير القيم (٤٠٣-٤٠٤).

(٤٤) تفسير ابن سعدي (٣٢٠/٦)، وتفصيل الأقوال في هذه الأصناف في تفسير البغوي (٤٢٠/٦- ٤٢٣) و في طريق الهجرتين لابن القيم (ص٣١٢- ٣٣٩) .

(٤٥) المراجع السابقة.

(٤٦) تفسير البغوي (٦/ ٤٢١)، وابن أبي حاتم (٣١٨٢/١٠) برقم (١٧٩٩٢) والدر المنثور (٢٨/٧) .

(٤٧) ينظر مادة (ولي) المعجم المفهرس لألفاظ لحديث (٣٢٢/٧- ٣٣٦) .

(٤٨) رواه الإمام البخاري في كتاب الرقاق (ينظر : الفتح (٣٤٨/١١) رقم الحديث (٦٥٠٢)، قال الإمام الشوكاني : (لا حاجة لنا في الكلام على رجال إسناده، فقد أجمع أهل هذا الشأن أن أحاديث الصحيحين أو أحدهما كلها من المعلوم صدقه بالمقبول المجمع على ثبوته، وعند هذه الإجماعات تندفع كل شبهة، ويزول كل تشكيك، وقد دفع أكابر الأئمة من تعرض للكلام على شيء مما فيها، وردوه أبلغ رد، وبينوا صحته أكمل بيان، فالكلام على إسناده بعد هذا، لايأتي بفائدة يعتد بها، فكل رواته قد جازوا القنطرة، وارتفع عنهم القيل والقال، وصاروا أكبر من أن يتكلم فيهم بكلام، أو يتناولهم طعن طاعن، أو توهين موهن) قطرالولي للشوكاني (ص٢٣٠-٢٣١) .

(٤٩) يعني عند غير البخاري، جامع العلوم والحكم (٣٣١/٢) . قلت : وقد جمع طرق الحديث ورواياته وألفاظه/ الدكتور سعد المرصفي في كتابه «دفاع عن الحديث القدسي من عادى لي ولياً فقد أذنته بالحرب» وهي دراسة قيمة في ضوء أصول التحديث، ورد الشبهات، ودحض المفتريات في الكلام عن هذا الحديث القدسي. ينظر الكتاب المذكور من (ص ٢٥-٦٨) .

(٥٠) الأولياء لابن أبي الدنيا (ص ٤٥) .

(٥١) المسند (٢٥٦/٦) .

(٥٢) الحلية لأبي نعيم (٥/١) .

(٥٣) مسند الطبراني الكبير، برقم (٧٨٨٠) .

(٥٤) الأربعين الصوفية للسلمي (ص ٣٦)، وقد ضعفه ابن حجر في الفتح (٣٤٢/١١)، والهيثمي في المجمع (٢٤٨/٢)، من هذه الرواية .

(٥٥) (٢٧٠/١٠)، وقال : فيه من لم أعرفهم .

(٥٦) في الكبير (١٢٧١٩)، وحكم عليه أبن حجر بالضعف في الفتح (٢٤٢/١١) .

(٥٧) الحلية (١١٦/٦)، وانظر : جامع العلوم والحكم لابن رجب (٣٣٣/٢) .

(٥٨) ينظر : الفتاوى لابن تيمية (١٢٩/١٨) .

(٥٩) ينظر : فتح المبين لابن جحر الهيتمي (ص ٢٧٤) .

(٦٠) أخرجه البغوي في شرح السنة عن أنس برقم (١٢٤٨)، وأشار إليه الحافظ في الفتح (١٣٧/٤)، وقال : في سنده ضعف .

(٦١) رواه مسلم ح (٢٧٢٢).

(٦٢) رواه أحمد في مسنده ١٦٩/٣ . قال أحمد شاكر : اسناده صحيح .
وأورده الهيثمي في (المجمع ٢٤٧/٢) وقال : رجاله ثقات.

(٦٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (من طريق عبدالرحمن بن هلال) برقم (١٨٧٣٣)، وابن أبي حاتم في التفسير (١٠٩٩) عن جرير بن عبدالله، والحاكم في

المستدرك برقم (١٠٧٨)عن جرير وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والطبراني في الكبير (٢٢٣٥، ٢٣٧٩)، وابن حبان في صحيحه برقم (٧٣٨٣) .

(٦٤) ينظر تفسير ابن كثير، (٢/٣٢٨-٣٢٩).

(٦٥) أخرجه البخاري (٣٢٠٩)، (٦٠٤٠)، (٧٤٨٥)، ومسلم في البر والصلة، باب : إذا أحب الله عبداً حببه الله إلى عباده رقم (٢٦٣٧)، ومالك في الموطأ (٢/٩٥٣)، وأحمد في المسند (٢/٢٦٧، ٢٤١)، والترمذي (٣١٦٠)، وأبو نعيم في الحلية (٧/١٤١)، والطيالسي (٢٤٤٦)، والبغوي (٣٤٧٠) من حديث أبي هريرة .

(٦٦) ينظر : شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/١٨٤) .

(٦٧) أخرجه الإمام أحمد في المسند، برقم (٢٢٣٩٩)، وأبو داود في كتاب الصلاة، برقم (٦٧٧) وإسناده حسن .

(٦٨) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٥/٢٢٨-٢٣٠).

(٦٥) مفردات الراغب الأصفهاني (ص ٥٣٣) .

(٧٠) فتح القدير (١/٢٧٠) .

(٧١) ينظر : فتح الباري (١١/٣٤٤) .

(٧٢) صحيح البخاري مع الفتح (٣/٢٠) كتاب المغازي باب غزوة أحد .

(٧٣) ينظر : صحيح البخاري بشرحه الفتح (١١/٤٣١)، والتذكرة للقرطبي (١/٢٤٩) .

(٧٤) جزء من حديث أخرجه أحمد في المسند، برقم (٢٢٣٩٩)، وإسناده حسن .

(٧٥) مقتبس من تفسير أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فيما أخرجه الحاكم وصححه (٢/٤٦)، وقال فيه الصلت : ليس بالقوي ينظر تفسير البغوي (٦/٤٢٠- ٤٢٣)

(٧٦) تفسير القران العظيم (٢/٧١) .

(٧٧) بتصرف من تفسير الطبري (٣/١٤) .

(٧٨) ينظر : طريق الهجرتين (ص ٥٧٠- ٥٧١) .

(٧٩) الفتاوى (١١/١٦١ - ١٦٢) .

(٨٠) طريق الهجرتين (ص ٥٧٢) .

(٨١) أخرجه البخاري برقم (٣٦٥٦)، وجاء بألفاظ أخرى عند مسلم برقم (٢٣٨٢-٢٣٨٣) وفضائل الصحابة للإمام أحمد (٩٧/١).

(٨٢) أورده الطبراني من عدة طرق لا تخلو كلها من ضعف لكن بكثرة الطرق يمكن أن يعضد بعضها بعضاً (٤٣/٩-٤٤) . وينظر : فضائل الصحابة رضي الله عنهم للإمام أحمد (٦٥/١) وما بعدها في فضائل أبي بكر ﷺ .

(٨٣) رواه أحمد عن معاذ بن جبل بلفظ : " إن أولى الناس بي ..." (٥/ ٢٣٥) .

(٨٤) كما صح عن الضحاك ابن مزاحم ينظر : كتاب فضائل الصحابة للأمام أحمد (١٧٦/١) حديث رقم (١٦١) .

(٨٥) ينظر فضائل الخلفاء الأربعة المرجع السابق (٩/١-٢٢٨) .

(٨٦) كما في رواية البخاري عن جابر (١٥٢٦/٤) حديث رقم: (٣٩٢٢- ٣٩٢٣) .

(٨٧) رواه مسلم عن أم مبشر (١٩٤٢/٤) كتاب فضائل الصحابة حديث رقم :(٢٤٩٦) .

(٨٨) البخاري (١٣٤٣/٣) برقم : (٣٤٧٠)، ومسلم (١٩٦٧/٤) برقم : (٢٥٤٠) .

(٨٩) قطر الولي للشوكاني (٢٩٢، ٢٩٣) .

(٩٠) البخاري (١٣٣٥/٣) برقم (٣٤٥٠)، ومسلم (١/ ١٩٦٢- ١٩٦٥) برقم : (٢٥٣٣- ٢٥٣٦) .

(٩١) البخاري برقم (٣٦٤٠- ٣٧١١)، ومسلم برقم : (١٩٢٠- ١٩٢١) .

(٩٢) ينظر: كتاب الإيمان لابن تيمية (ص ٢٤٧)، علق عليه جماعة من العلماء، نشر:دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ .

(٩٣) صحيح البخاري بشرحه الفتح (٥١/١ - ٥٣) كتاب الإيمان، وفي صحيح مسلم بشرح النووي (٦٠٣/١)، كتاب الإيمان، باب : شعب الإيمان . جامع الأصول (١٥٠/١ - ١٥١)

(٩٤) قطر الولي (ص ٢٥٧) .

(٩٥) المختار من كنوز السنة (ص ٩٦).

(٩٦) المرجع السابق .

(٩٧) ينظر : قطر الولي (ص ٢٣٨)

(٩٨) أورده ابن جرير في تفسيره (٣٢٢/٦)، وابن الجوزي في كتاب الحسن البصري ص(٥١).

(٩٩) ينظر : الصفدية (٢٥٥/١) .

(١٠٠) الفرقان (ص ١٧).

(١٠١) رواه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الوحي، باب : (١) حديث (١) عن عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -(٥٨/١)، وهو عند مسلم في الصحيح، كتاب الإمارة، حديث (١٩٠٧) عن عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - (١٥١٥/٣) .

(١٠٢) ينظر : جامع العلوم والحكم لابن رجب (١٢٦/١) .

(١٠٣) حيث يزعم الواحد منهم أنه بلغ حالة مع الله بحيث يسرحه من قيود الشرائع ويخرجه من حدودها، وهذا من أكبر الزندقة والردة عن الإسلام . ينظر : فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة (ص ١٤٦)، لأبي حامد الغزالي، ط : مكتبة الجندي مصر، و مدارج السالكين لابن القيم (١١٦/٣) .

(١٠٤) جامع العلوم والحكم (٣٣٦/٢)، زوائد المسند (ص ٢٩٦) .

(١٠٥) المرجعين السابقين.

(١٠٦) ينظر : ولاية الله والطريق إليها، هلال (ص ١٤٣) انظر : قطر الولي (ص ٤٢١).

(١٠٧) تفسير ابن كثير (٥٨٨/٢) .

(١٠٨) تفسير ابن كثير (٥٨٨/٢) .

(١٠٩) مثل حديث ((إنَّما الأعمال بالنيات)) البخاري، كتاب بدء ا لوحي (٥٨/١) .

(١١٠) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب : تحريم ظلم المسلم وخذله، حديث (٢٥٦٤)، عن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - (١٩٨٦/٤ - ١٩٨٧).

(١١١) رواه البخاري في كتاب النكاح، باب : لايخطب على خطبة أخيه، حديث (٧٦) عن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - (٣١٦/٧)، وعند مسلم كتاب البر والصلة، باب : تحريم الظن والتجسس، حديث (٢٥٦٣) عن أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - (١٩٨٥/٤).

(١١٢) سنن الترمذي، كتاب السير، باب : ما جاء في الغلول، حديث (١٥٧٢) عن ثوبان (١١٧/٤)، والحاكم في المسند عن ثوبان (٢٦/٢)، وصححه على شرطهما .

(١١٣) مسلم، كتاب الإيمان، باب : تحريم الكبر وبيانه، حديث (١٤٩١٩١) عن ابن مسعود (٩٣/١)، والترمذي، حديث (١٩٩٨) عن ابن مسعود (٣١٧/٤) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح.

(١١٤) رواه أبو داود في (سننه) كتاب الأدب باب : (في ذي الوجهين) حديث (٤٨٧٣) عن عمار، وسكت عنه، وقال في رسالته لأهل مكة: كل ما سكت عنه فهو صالح، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة وقال: صحيح بمجموع طرقه .

(١١٥) جامع العلوم والحكم(٣٣٧/١).وانظر الأقوال في تعريف المندوب في شرح الروضة للطوفي(٣٥٣/١-٣٥٤).

(١١٦) رواه الحاكم في المستدرك (٤٤١/٢) وصححه ووافقه الذهبي .

(١١٧) ذكره ابن القيم عند تفسير الآية : التفسير القيم (ص ٤٠٤ - ٤٠٥) .

(١١٨) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، حديث رقم (٣١٩٤) عن أبي هريرة ينظر : فتح الباري (٢٨٧/٦)، (٣٨٤/١٣)، كتاب التوحيد، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الذكر والدعاء (٢٠٦٧/٤) .

(١١٩) ينظر في ذلك كتب الأذكار مثل : كتاب الأذكار النواوية (ص٣٦٧)، وقطر الولي (ص ٣٨٢ - ٣٩٧)

(١٢٠) ينظر : جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٤٥-٣٤٦) .

(١٢١) رواه ابن أبي شيبة (٤١/١١) عن البراء وله شاهد من حديث ابن مسعود موقوفا عليه عند عبدالرزاق برقم (٢٠٣٢٣)، وجاء في المسند (٢٨٦/٤)، والحلية (١٧٧/٤)، عن البراء بلفظ : ((أوسط الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله)) .

(١٢٢) رواه أبو داود عن أبي أمامة (٨٠/٥) حديث رقم (٤٦٨١) ، وهو في المسند عند الإمام أحمد (٣/ ٤٣٨ - ٤٤٠)، والترمذي (٧٨/٤) حديث رقم (٢٦٤٢) وقال : حديث حسن .

(١٢٣) جزء من حديث عند الإمام مسلم عن أنس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - : ((ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان ...)) (١٦٦/١)، كتاب الإيمان .

(١٢٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٣/ ٨٨) .

(١٢٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٩٠/٤) حديث (٥٩٩٠) ومسلم (١٩٧/١) حدث رقم (٣٦٦) في الإيمان باب موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم.

(١٢٦) الفقه الأكبر ص (٣٠٣).

(١٢٧) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ (٧٤٦/٢)، ط : الرسالة بتحقيق : التركي .

(١٢٨) لوامع الأنوار للسفاريني (٣٩٣/٢) .

(١٢٩) ينظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية، ط الرياض (١٥٦/٣) .

(١٣٠) ينظر : حاشية الأمير على شرح عبد السلام على الجوهرة ص(١٥٤)، لوامع الأنوار (٣٩٣/٢) .

(١٣١) الموافقات للشاطبي (٢٨٣/٢) .

(١٣٢) قصة جريج ينظر : صحيح مسلم (١٩٧٦/٤)، حديث(٢٥٥).

(١٣٣) قصة الثلاثة ينظر : صحيح البخاري (٤٠٨/٤)، حديث (٢١٥).

(١٣٤) سير أعلام النبلاء (١/١٤٢)، والحديث عند الترمذي عن أنس بن مالك :« كم من أشعث ...» (٥/٣٥٥) حديث (٣٩٤٥)، وقال : حسن غريب، سنن الترمذي ط دار الفكر بيروت ١٤٠٠هـ .

(١٣٥) أسد الغابة (٢/٣٩٠)، والحديث في ذلك عند الترمذي عن قيس أن النبي ﷺ قال : ((اللهم استجب لسعد إذا دعاك))حديث رقم (٣٧٧٢) قال أبو عيسى : وهذا أصح، ط دار الفكر ١٤٢٢هـ .

(١٣٦) سير أعلام النبلاء (١/٢٦٢)، البداية والنهاية (٦/١٦٢ - ١٦٣)، وحلية الأولياء لأبي نعيم (١/٧)، وصفة الصفوة (١/٦٩٤).

(١٣٧) حلية الأولياء (٢/١٢٢، ١٣١)، سير أعلام النبلاء (٤/٧)، البداية والنهاية (٨/١٤٩).

(١٣٨) النبوات، ط : السلفية (ص ٣٠٠)، وانظر : البداية والنهاية لابن كثير (٦/١٦٣).

(١٣٩) الكواشف الجلية (ص ٧١٧).

(١٤٠) ينظر : الجواب الصحيح (٥/٤١٩)، ط : دار العاصمة ١٤١٤ هـ .

(١٤١) شرح العقيدة الطحاوية ص(٥٥٥)، قطر الولي ص (٢٤٨).

(١٤٢) المرجعين السابقين.

(١٤٣) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (٥/٢) .

(١٤٤) ينظر المرجع السابق، وشرح الطحاوية (٢/٧٤٦ - ٧٤٨)، تحقيق : د . التركي والأرناؤوط .

(١٤٥) رواه البخاري في باب الوضوء من التور(١/٣٠٤) و (٦/٥٨١) برقم ٣٥٧٤، ومسلم في كتاب الفضائل (٤/ ١٧٨٣) برقم ٢٢٧٩.

(١٤٦) رواه البخاري في باب كتاب المغازي (٧/٣٩٥ -٣٩٦) ومسلم (٣/١٦١٠) .

(١٤٧) الفتاوى (١١/٢٧٥ – ٢٨٢)، (١١/٣١٧) .

(١٤٨) الفتاوى (١١/٢٨٣)، (١١/٤٦٠) .

(١٤٩) فتح الباري (١٠/٢٢٣).

(١٥٠) رواه البخاري في صحيحه ينظر: فتح الباري (٦/٣٣٧) كتاب بدء الخلق، صفة إبليس وجنوده من حديث أبي هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - .

(١٥١) ذيل طبقات الحنابلة (١/٢٦٤) وشذرات الذهب (٤/١٩٩)، (٤/٢٤٧) .

(١٥٢) ينظر : تلبيس إبليس ص (١٨٨، ١٩٩، ٤٥٩) وما بعدها .

(١٥٣) رواه الترمذي برقم (٣١٢٥) في التفسير في سورة الحجر عن أبي سعيد الخدري - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وقال عنه : حديث حسن، وهو في الدر المنثور للسيوطي (٤/١٠٣) وقال : أخرجه البخاري في تأريخه وابن جرير وابن أبي حاتم و ابن السني وابو نعيم وابن مردويه والخطيب عن أبي سعيد.

(١٥٤) ينظر : الصوفية نشأتها وتطورها، محمد العبده، طارق عبدالحكيم، ص(٦٧).

(١٥٥) تيسير العزيز الحميد، ص (٣٩٦) .

(١٥٦) للتوسع في هذا الباب ينظر الرسالة الصفديه لابن تيمية ١/١٣٨، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ص (٣٩٤-٣٩٨، ٤٨٠-٤٨٢)، ط٣، المكتب الإسلامي سنة ١٣٩٧هـ، بيروت.

(١٥٧) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢/٥٢، ٢٢٦٢، ١٣/٧٣) وانظر مفتاح دار السعادة لابن القيم (١/٢٥٥).

(١٥٨) عوارف المعارف ص (٣٣)ط دار الكتاب العربي بيروت.

(١٥٩) المرجع السابق ص (٥٤) .

(١٦٠) رواه البخاري ومسلم عن عبدالرحمن بن أبي بكر، صحيح البخاري (١/٢١٦) حديث رقم(٥٣٧) وصحيح مسلم (٣/١٦٢٧) حديث رقم (٢٠٥٧).

(١٦١) صحيح البخاري (٣/١٣٤٩) حديث رقم (٣٤٨٦) فضائل الصحابة رضي الله عنهم وعند مسلم (٤/١٨٦٤) رقم الحديث (٢٣٩٨) فضائل عمر ﷺ.

(١٦٢) أخرج ابن أبي شيبه في معناه عن عبدالله بن عتبة (١٣/٢٧٢، ٢٧٥)، والزهد لابن المبارك (٤٢، ٤٩).

(١٦٣) ينظر: دلائل النبوة لأبي نعيم ص(٢١٠)، والأربعين لأبي عبدالرحمن السلمي ص (٣).

(١٦٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١٩١٦/٤)، حديث رقم (٤٧٣٠) . وعند مسلم (٥٤٨/١) حديث رقم (٧٩٦).

(١٦٥) صفة الصفوة (٦٨١/١) وفي أسد الغابة (١٣٨/٤).

(١٦٦) ينظر : الحلية (٤٤/١) .

(١٦٧) أخرجه البخاري (١٣٨٤/٣) حديث رقم (٣٥٩٤).

(١٦٨) أخرجه البخاري (١١٠٨/٣) حديث رقم (٢٨٨٠).

(١٦٩) الحلية (٦٧/٢) أسد الغابة (٥٦٧/٥) صفة الصفوة (٥٤/٢).

(١٧٠) ينظر دلائل النبوة ص(٢١٢)، وأسد الغابة (٣٢٤/٢) ومجمع الزوائد (٣٦٦/٩).

(١٧١) ينظر : جلاء العينين في محاكمة الأحمدين للألوسي ص(١٤٠).

(١٧٢) بتصرف من الإلهام ودلالته على الأحكام للدخميسي ص(١١٨).

(١٧٣) ينظر موقف الإسلام من الإلهام والكشف للقرضاوي، ص (٣١).

(١٧٤) أخرجه ابن أبي شيبه في الإيمان (١٠٨) وهو في المصنف (١٦/١١) بمعناه.

(١٧٥) أخرجه الطبراني في الكبير برقم (٨٥٤٩) وقال الهيثمي في المجمع (١٨٥/١٠) اسناده جيد.

(١٧٦) شرح الطحاوية ص (٣٢٠)، تحقيق الأرناؤوط، نشر دار البيان سنة ١٤٠١هـ .

(١٧٧) عن علي ﷺ في صحيح مسلم برقم (٢٧٢٥) وفي رواية «اللهم أني أسألك الهدى والسداد» .

(١٧٨) رواه أهل السنن والبيهقي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما في دعاء القنوت سنن أبي دواد برقم (١٤٢٥)، و(١٤٢٦) والترمذي برقم (٤٦٤) والنسائي (١٧٤٥) وابن ماجه (١١٧٨) والبيهقي (٢٠٩/٢) . قال النووي واسناده صحيح.

(١٧٩) جزء من حديث ابن عباس المشهور، أورده ابن رجب في جامع العلوم الحكم (٤٥٩/١)، وذكر طرقه وقال: أصح الطرق كلها طريق حنش الصنعاني التي خرجها الترمذي . والإمام أحمد في المسند بلفظ أطول (٢٣٩/١) من ثلاث طرق إحداها متصلة صحيحة، وأبو يعلى (٢٥٥٦) والترمذي (٢٥١٦) وقد أفرد له ابن رجب مصنفاً بعنوان ((نور الإقتباس في مشكاة وصية النبي -صلى الله عليه وسلم – لابن عباس)) آخر طبعاته سنة ١٤٠٠هـ القاهرة .

(١٨٠) ينظر: تفسير ابن سعدى (٣٦٧/٣-٣٦٨) وتفسير الشوكاني (٢٥٧/٢).

(١٨١) فتح القدير(٤٥٩/٢).

(١٨٢) جزء من حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد في المسند عن البراء (٢٩٦/٤،٢٩٥،٢٨٧) وأبو داود (٤٧٥٣) والحاكم وصححه (٣٧/١-٤٠) وجاء بعدة ألفاظ.

(١٨٣) تفسير ابن سعدي (٣٦٨/٣).

(١٨٤) ينظر مدارج السالكين (٤٨٤/٢-٤٨٧) وشرح الطحاوية (٧٥٣/٢).

(١٨٥) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٥٢/٨).

(١٨٦) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٢٣) وأحمد في المسند (٣٤٢/٥، ٣٤٣) وغيرهما.

(١٨٧) الاصابة لابن حجر (١٢٩/٤-١٣٠).

(١٨٨) ينظر إغاثة اللهفان لابن القيم (٢١/١).

(١٨٩) ينظر مجموع الفتاوى (٤٢/٢-٤٧). ففيه مزيد بيان.

(١٩٠) تفسر سفيان الثوري ص (١١٨).

(١٩١) تفسير ابن كثير (٣٠١/٢)، تفسير الكشاف(٢/ ١٢٢).

(١٩٢) تفسير ابن كثير (٣٠٢/٢،٣٠١).

(١٩٣) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٣٥١/٢) تحقيق التركي

(١٩٤) المعجم الكبير للطبراني (٨/٢٢١، ٢٢٢) برقم (٧٨٨٠).

(١٩٥) مجمع الزوائد (١٠/٢٧٠)، والأولياء لابن أبي الدنيا (٢٧-٢٨).

(١٩٦) قطر الولي ص (٤٤٠).

(١٩٧) فتح الباري (١١/٢٩٥).

(١٩٨)المرجع السابق.

(١٩٩) رواه أحمد في المسند (٣/١٨) والبخاري في الأدب المفرد (٧١٠) والطحاوي في مشكل الآثار (١/٣٧٥) والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (١/٤٩٣) وأورده الهيثمي في المجمع (١٠/١٤٨-١٤٩) بأطول من هذا وقال : رجاله رجال الصحيح غير علي بن علي الرافعي، وهوثقة، وله عدة ألفاظ.

(٢٠٠) قطر الولي للشوكاني ، ص (٤٤٠).

(٢٠١) باختصار من المرجع السابق ص (٤٤٠، ٤٨٠-٤٨٦).

(٢٠٢) ينظر: المرجع السابق ص(٤٨٦).

(٢٠٣) ينظر فتح الباري، (١١/٣٤٦).

المصادر والمراجع

(١) – القرآن الكريم .

(٢) – ابن أبي حاتم . عبدالرحمن بن محمد بن إدرس :

– تفسير القرآن العظيم، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكمة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

(٣) – ابن أبي العز علي بن علي :

– شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق : التركي والأرنؤوط، ط١، مؤسسة الرسالة ١٤٠٨هـ بيروت.

(٤) – أحمد رضا :

معجم متن اللغة، نشر مكتبة الحياة . بيروت.

(٥) – الإمام أحمد بن حنبل :

– كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، حققه وخرج أحاديثه، وصى الله بن محمد عباس ط: دار العلم، جده، ١٤٠٣هـ.

– المسند : دار صادر بيروت، وط أخرى تحقيق أحمد شاكر، دار المعارف بمصر ١٣٧٣هـ.

(٦) – ابن الأثير، مجد الدين، أبي السعادات، المبارك بن محمد :

– أسد الغابة في معرفة الصحابة – جمعية المعارف ١٣٨٠هـ.

– جامع الأصول في أحاديث الرسول، حقق نصوصه وخرّج أحاديثه : عبدالقادر الأرناؤوط ١٣٨٩ م، بيروت .

– النهاية في غريب الحديث، تحقيق : الزاوي والطناحي، الناشر، المكتبة الإسلامية.

(٧) – ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام :

– الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق : مجموعة من الباحثين، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٤هـ .

- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، حققه عبدالقادر الأرناؤوط، دار البيان، دمشق ١٤٠٥هـ
- كتاب الإيمان، علق عليه جماعة من العلماء، نشر : دار الكتب العلمية، ١٤٠٣ هـ بيروت .
- كتاب الصفدية، تحقيق : محمد رشاد سالم، ط : الأولى، دار الهدي النبوي، المنصورة، مصر، ١٤٢١هـ.
- مجموع الفتاوى، جمع وترتيب الشيخ : عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد، ط : الرياض، بدون سنة الطبع .
- مجموعة الرسائل والمسائل، ط : الأولى ١٤٠٣ هـ، نشر : دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ .
- النبوات : تحقيق : د / عبدالعزيز صالح الطويان، مكتبة أضواء السلف – الرياض، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ، وط : السلفية، بدون سنة الطبع .

(٨) – ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج :
- تلبيس إبليس، تحقيق السيد الجميلي، ط ٨، ١٤١٩هـ، الكتاب العربي، بيروت.
- زاد المسير في علم التفسير، تحقيق احمد شمس الدين،ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٤هـ
صفة الصفوة، تحقيق محمود فاخوري، ط١، ١٣٨٩هـ، دار الوعي، حلب .

(٩) – ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني :
- الإصابة في تمييز الصحابة، ط : دار الكتب العلمية، بيروت لبنان .
- فتح الباري نشر دار البحوث بالمملكة العربية السعودية.

(١٠) – ابن حجر الهيتمي :
- فتح المبين لشرح الأربعين، بيروت، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ.

(١١) – ابن رجب الحنبلي، أبو الفرج، عبدالرحمن بن شهاب الدين :
- جامع العلوم والحكم، تحقيق : الأرناؤوط وباجس، ط : مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١١ هـ .

- ذيل طبقات الحنابلة، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت .

(١٢) – ابن العماد، أبو الفلاح عبدالحي بن عماد الحنبلي :

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط : دار المسيرة، بيروت .

(١٣) – ابن عثيمين، محمد بن صالح العثيمين، القواعد المثلى، ط : دار الوطن، الرياض ١٤٢٩هـ.

(١٤) – ابن فارس : أحمد بن فارس :

- معجم مقاييس اللغة مطبعة الحلبي ط٦، تحقيق عبدالسلام هارون، سنة ١٣٨٩هـ.

(١٥) – ابن القيم، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب :

- التفسير القيم، جمع محمد أويس الندوي، ط : دار العلوم الحديثة - بيروت، ١٣٦٧هـ .

- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق : محمد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت .

- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، نشر دار الفكر.

- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان : دار المعرفة، بيروت، من دون سنة الطبع.

- طريق الهجرتين وباب السعادتين، نشر دار ابن القيم، الدمام، ط : دار الصحابة، بيروت، ١٤٠٩هـ.

(١٦) – ابن كثير، إسماعيل بن عمر :

- تفسير القرآن العظيم، ط : دار المعرفة ١٤٠٣ هـ، بيروت .

(١٧) – ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي المصري،طبقات الأولياء، تحقيق : نور الدين شريبة، الناشر: مكتبة الخانجي _ القاهرة _ ١٤١٥ هـ.

(١٨) – ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي المصري :

لسان العرب، دار صادر، بيروت - لبنان، ١٣٨٨ هـ .

(١٩) – أبو حنيفة النعمان ثابت :
– الفقه الأكبر، إعداد عبدالكريم تتان، مكتبة الغزالي، ومكتبة ابن الفارض حماه، ١٣٩٢هـ.
(٢٠) – إسماعيل، محمد :
– معجم الألفاظ والأعلام القرآنية، ط : دار الفكر العربي .
(٢١) – الآلوسي : نعمان خير الدين الشهير بابن الآلوسي البغدادي :
جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ط دار الكتب العلمية بيروت من دون سنة طبع.
(٢٢) – الأصفهاني، أبو نعيم، أحمد بن عبدالله :
– حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .
(٢٣) – البخاري، الإمام محمد إسماعلي :
– صحيح البخاري، دار القلم، ودار البخاري ١٤٠١هـ.
(٢٤) – البغوي : الحسين بن مسعود : تفسير البغوي معالم التنزيل، تحقيق محمد بن عبدالله النمر، ط دار طيبة الرياض ١٤١٧هـ.
(٢٥) – الثوري: سفيان بن سعيد، تفسير سفيان الثوري برواية أبي جعفر النهدي، ط١ دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣هـ
(٢٦) – التهانوي، محمد بن علي :
– كشاف اصطلاحات الفنون، منشورات الخياط، بيروت، ١٩٦٦ م .
(٢٧) – الجرجاني، أبو الحسن علي بن محمد :
– التعريفات، وضع فهارسه وحواشيه : محمد باسل عيون السود، ط : الأولى، ١٤٠١ هـ، دار الكتب العلمية – بيروت .
(٢٨) – الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي :
– أحكام القرآن، دار الكتاب العربي – لبنان .
(٢٩) – الجوهري، إسماعيل بن حماد :

- الصحاح، تحقيق : أحمد عبدالغفور عطا، مطابع دار الكتاب العربي، مصر .
(٣٠) – الدخميسي، عبدالفتاح أحمد :
- الإلهام ودلالته على الأحكام، دراسة أصولية، ط سنة ١٤٢٠هـ، مطابع التركي، طنطا.
(٣١) – دراز، محمد عبدالله :
- المختار من كنوز السنة النبوية، صنّفه سنة ١٣٥٠ هـ، بدون سنة ومكان الطبع .
(٣٢) – دمشقية، عبدالرحمن :
- أبو حامد الغزالي والتصوف، ط : دار طيبة، ١٤٠٦ هـ، الرياض .
(٣٣) – الذهبي، شمس الدين، أبو عبدالله، محمد بن أحمد :
- سير أعلام النبلاء، تحقيق : بشار عواد وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت .
(٣٤) – الراغب الأصفهاني، أبو القاسم، الحسين بن محمد :
- المفردات في غريب القرآن، تحقيق : محمد سيد كيلاني، ط : البابي الحلبي، مصر، ١٣٨١ هـ .
(٣٥) – سالم، محمد رشاد :
- مقارنة بين الغزالي وابن تيمية، ط : دار القلم، الدار السلفية - الكويت .
(٣٦) – السبكي، تقي الدين :
- طبقات الشافعية، دار الفكر – بيروت .
(٣٧) – السعدي، عبدالرحمن بن ناصر السعدي :
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤسسة السعدية، الرياض، بدون سنة الطبع، ط : مؤسسة الرسالة ١٤٢١ هـ، بإشراف وزارة الشؤون الإسلامية – المملكة العربيّة السعوديّة .
(٣٨) – السفاريني، محمد بن أحمد :
- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية، بتعليق عدد من العلماء، ط : المكتب الإسلامي، ١٤٠٥ هـ،

بيروت - لبنان .
(٣٩) – السلمان، عبدالعزيز بن محمد :
- الكواشف الجلية عن معاني الواسطية، ط : السادسة، ١٣٩٨ هـ، الرياض الحديثة - الرياض .
(٤٠) – السلمي، أبو عبدالرحمن :
- طبقات الصوفية، ط : الخانجي، ١٤١٨ هـ، القاهرة .
(٤١) – سليمان بن عبدالله : ابن محمد بن عبدالوهاب :
- تيسير العزيز الحميد بشرح كتاب التوحيد ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت، سنة ١٣٩٧هـ.
(٤٢) – السهروردي : عمر بن محمد :
عوارف المعارف، المكتبة العلامية بمصر ١٣٨٥هـ.
(٤٣) – السيوطي، جلال الدين، عبدالرحمن :
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ط : دار المعرفة، بيروت .
- الإتقان في علوم القرآن، تحقيق : محمد أبو الفضل، ط : مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني القاهرة .
(٤٤) – الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد :
- الموافقات في أصول الشريعة، نشر دار المعرفة بيروت، بيروت، بدون سنة الطبع.
(٤٥) – الشوكاني، محمد بن علي :
- فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الناشر : محفوظ العلي بيروت.
- قطر الولي على حديث الولي، تحقيق : د . إبراهيم هلال، نشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٣٩٧ هـ.
(٤٦) – الصنعاني، محمد بن إسماعيل :

- الأنصاف في حقيقة الأولياء – تحقيق عبدالرزاق البدر، دار ابو عثمان، القاهرة، ط١ ١٤٢٤هـ.

(٤٧) – الطبراني، الحافظ سليمان بن أحمد :

- المعجم الكبير، تحقيق : حمدي السلفي، الدار العربية بغداد، ط : الأولى، ١٣٩٨هـ .

(٤٨) – الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير :

جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق : محمود شاكر، ط : دار المعارف بمصر .

(٤٩) – الطوفي : نجم الدين سليمان بن عبدالقوي بن عبدالكريم.

- شرح مختصر الروضة، ط (١)، بمؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٠هـ تحقيق : د.عبدالله التركي.

(٥٠) – عبدالباقي محمد فؤاد .

- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي

- المعجم المفرس لألفاظ القرآن الكريم، عدد من المستشرقين، مكتبة بريل ليوت ١٩٣٦م.

(٥١) – العبده وعبدالحكيم، محمد العبده، وطارق عبدالحكيم :

الصوفية نشأتها وتطورها، دار الأرقم - الكويت، ط : الأولى، ١٤٠٦ هـ .

(٥٢) – العيني : بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، ط دار الفكر .

(٥٣) – الغزالي، محمد بن محمد :

- إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ .

- فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، ط : مكتبة الجندي، مصر .

(٥٤) – الفوزان، صالح بن فوزان بن عبدالله:

- الإرشـــاد إلى صحيح الاعـتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، ط ٧، ١٤٢٢ هـ، دار ابن الجوزي، الرياض .

(٥٥) – الفيروزآبادي : مجد الدين:
القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ.
(٥٦) – القرطبي، أبو عبدالله، محمد بن أحمد الأنصاري :
- الجامع لأحكام القرآن، طبع دار الكتب المصرية – مصر، ١٣٨٧ هـ .
- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة . ط : المكتبة العصرية، ١٤٢٣هـ، بيروت.
(٥٧) – القرضاوي : يوسف .
- موقف الإسلام من الإلهام والكشف والرؤى . نشر دار الرسالة بدون سنة الطبع.
(٥٨) – القشيري النيسابوري، الإمام مسلم بن الحجاج :
- صحيح مسلم، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر – لبنان، ١٤٠٣ هـ .
(٥٩) – الكبي، زهير شفيق :
- فقه التصوف، ط : دار الفكر، ١٩٩٣ م، بيروت .
(٦٠) – المعلمي، عبدالرحمن بن يحيى :
القائد إلى تصحيح العقائد، ط : المكتب الإسلامي، بيروت .
(٦١) – أبو نعيم : أحمد بن عبدالله :
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ.
(٦٢) – نكري، القاضي الأحمد :
- جامع العلوم في اصطلاحات الفنون الملقب بدستور العلماء، ط ٢، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٣٩٥ هـ .
(٦٣) – النووي، أبو زكريا، يحيى بن شرف :
- شرح صحيح مسلم، ط٢ ١٣٩٢هـ دار الفكر، بيروت
- حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات: المعروف بالأذكار النواوية،

تحقيق علي الشربجي قاسم النوري، ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٢هـ.
- الأحاديث القدسية، تحقيق : مصطفى عاشور، مكتبة القرآن للطبع والنشر، القاهرة.
(٦٤) – هلال : إبراهيم إبراهيم :
- ولاية الله والطريق إليها، مطبعة حسان، القاهرة، ١٣٩٧هـ.
(٦٥) – الهيثمي، الحافظ، نور الدين، علي بن أبي بكر :
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ط : دار الكتب العلمية – بيروت، بدون سنة الطبع.

موقف اليهود والنصارى من مخالفيهم
من خلال كتابهم المقدس ومن خلال شواهد التاريخ

القسم الثاني: أحكام الحرب وتطبيقاتها
- دراسة مقارنة -

إعداد
د. محمد بن عبدالله بن صالح السحيم
أستاذ العقيدة المشارك في قسم الدراسات الإسلامية
كلية التربية، جامعة الملك سعود
عضو الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة
والأديان والفرق والمذاهب
عضو الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

ملخص البحث

عنوان البحث: موقف اليهود والنصارى من مخالفيهم من خلال كتابهم المقدس ومن خلال شواهد التاريخ، القسم الثاني: أحكام الحرب وتطبيقاتها. دراسة مقارنة.

الباحث: د. محمد بن عبد الله السحيم .

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على رسوله المصطفى.أما بعد

ففي هذا البحث تناول الباحث موقف اليهود والنصارى من مخالفيهم من خلال كتابهم المقدس ومن خلال شواهد التاريخ، خاصة فيما يتعلق بأحكام الحرب وتطبيقاتها. مقارنة بما جاء به الإسلام من هداية ورحمة .

وقد دفع الباحث للكتابة في هذا الموضوع الحملة الشرسة على الإسلام وأنه دين السيف والبطش خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، فرغب الباحث في بيان الحقيقة حول ذلك والدفاع عن الإسلام.

وهذا البحث أشتمل على نماذج من أحكام الحرب التي وردت في كتابهم المقدس، وكان من أبرزها استباحة المدن والقرى وإبادة أهلها، والأمر بقتل الملوك، وكيفية محاصرة المدن، ومعاقبة الأبناء بجريرة الآباء، والأمر بحرق الأحياء، والتلذذ بمآسي الأمم والشعوب.

كما تناول البحث أيضا أخبارا عن تطبيق هذه الأحكام من قبل اليهود والنصارى مع مخالفيهم في القديم والحديث، وبيان أن هذا التشريع منهج متبع، وسنة تحتذى. كما تضمن البحث مقارنة بين هذه الأحكام والتشريعات وشريعة الإسلام من خلال الآيات والأحاديث النبوية الشريفة والشواهد التاريخية.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

Summary of the Research

The Research Title : The Attitude of Jewish and Christians towards followers of other religions , based on their holy Bible (The Torah and Gospel)and historical evidence.

Second Section : Rules of War and its Applications (Comparative Study)

Researcher: Dr. Mohamed B .Abdullah Al-Saheem

Praise to God alone, and blessings and peace be upon his messenger .

In this Research, the Researcher handled the attitude of the Jewish and Christians towards followers of other religions , depending on their holy Bible (The Torah and The Gospel) as well as the historical evidences, particularly, when it comes to Rules of War and its Applications, compared to the Islamic Code of Guidance and Mercy .

The Researcher was motivated to handle this subject because of the ill-natured campaign against Islam, that Islam is the religion of sword and terrorism, particularly, after the 11 September incidents, in an endeavor to explain the facts and defend Islam .

This Research comprises examples of The Rules of War that mentioned in their holy Bible, of which the most obvious, is cities and villages desecration, perishing its Inhabitants ،killing kings, blockading cities, punishing sons for the father's sins, burning living persons and feeling delight and enjoyment for the disasters and calamity of other nations and people.

The Research also handled news about the application of these rules by Jewish and Christians in the past and nowadays, stating that it is their programmed and adopted method. It also contained a comparison between these rules and legislations and that in Islam ،based on the Quranic Verses, the holy sayings of the prophet and the historical evidences .

Blessing of God, and Peace be upon our prophet Mohamed, his family and his followers

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي شرع وقدر، وخلق ويسر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أرجو بها النجاح والفلاح يوم لقائه، وأشهد أن نبينا محمدا ﷺ رسول الله حقا ونبيه صدقا، شهادة يسعد بها من جاء بها يوم القيامة سعادة لا شقاء بعدها، وأصلي وأسلم على من بعثه ربه بالحنيفية السمحة، والشريعة التامة، والرسالة الخاتمة. أما بعد.

فمن سنن الله في هذا الكون سنة المدافعة، فيدفع الباطل بالحق، والضلال بالهدى قال عز شانه وتعالى سلطانه: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾{سورة الحج٤٠} . ومن أجل ذلك شرع الله للبشر من الشرائع ما يحفظ عليهم دينهم وعقولهم وأموالهم وأعراضهم وذرياتهم، فكانت شرائعه رحمة للعالمين.

ولأن الإنسان إذا استغنى طغى، وإذا ملك ظلم، وإذا عز استبد، إلا من رحم الله، ولا يقف ظلم واستبداد البشر عند حد، فينتقل من التطاول على البشر إلى التطاول على الله، ويفتري على الله وينسب إليه إفك البشر وظلمهم وافتراءهم، ويزعم أن الله هو الذي أمرهم بهذا الظلم والاستبداد والبغي، قال جل ثناؤه مخبرا عن هذا: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُون. قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ {سورة الأعراف٢٩،٢٨}. ثم يتمادى الغي والكفر فيدون كل هذا الإفك في كتاب فيزعم أنه من عند الله، وأن الله أمر بهذا، قال سبحانه وتعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ {سورة البقرة،٧٩}. تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

ومن أجل ذلك وغيره يرسل الله الرسل بالشرائع ليستقيم الناس على جادة

الهدى، وأن يعبد الله وحده لا شريك له، وأن تكف يد المعتدي، وأن ينصف المظلوم، وأن يردع الباغي، وأن يكون الدين كله لله، قال عز شأنه وتعالى سلطانه: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ {سورة الأنفال،٣٩}.

وفي هذا البحث نتناول كتابهم الذي يزعم اليهود والنصارى أنه وحي الله وأنه معصوم ومقدس، وهو مشتمل على كل ما يتعلق بحروبهم مع خصومهم وكيف يتعاملون معهم ويفعلون بهم، ويزعمون فوق ذلك أن هذا دين الله وأن الله أمرهم بهذا، وهم في هذا مشابهون للذين كفروا كما أخبرت عن ذلك آية سورة الأعراف المتقدمة، كما شابهوهم في باب الاعتقاد، قال لتعالى مخبرا عنهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ {سورة التوبة،٣٠}.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، ولعمر الحق إنه لعظيم، بل زادوا عليه فتراهم يتطاولون على دين الإسلام وعلى نبي الإسلام ﷺ ويزعمون أن دينه انتشر بحد السيف وأنه نبي السيف... ثم سار في ركبهم طغام ممن ينتسبون إلى الإسلام يرددون ما قالوا، وقلدهم آخرون على جهل منهم بحقيقة دينهم وبحقيقة ما افتراه عدوهم.

ورغبة في كشف الباطل وتعريته، وهتك أستاره وكشف أسراره، وإرشادا للضال، وتنبيها للغافل، ودفاعا عن سنة سيد المرسلين وبيان منهج إمام الموحدين ﷺ، وطلبا لمرضاة ربي درست موقف اليهود والنصارى من مخالفيهم من خلال كتابهم المقدس ومن خلال شواهد من التاريخ لتحقيق هذه الغاية، وقد قسمت هذه الدراسة إلى قسمين: القسم الأول يتناول التمييز العنصري الذي اشتمل عليه الكتاب المقدس عندهم، وقد جعلته في تمهيد ومبحثين ، أما التمهيد فتناولت فيه أسباب كتابة هذا البحث، وأما المبحث الأول فقد أوردت فيه مكانة كتابهم المقدس عند اليهود والنصارى، وموقف

المسلم من هذا الكتاب، أما المبحث الثاني فتناولت فيه التمييز العنصري في كتابهم المقدس، وقد أوردت فيه مطالب عدة توضح هذا التمييز العنصري الذي اشتمل عليه الكتاب المقدس عندهم.

أما القسم الثاني وهو هذا البحث الذي بين أيدينا فقد قسمته إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة، وتناولت في المبحث الأول تشريعات الحرب التي جاء بها كتابهم المقدس، وفي المبحث الثاني استعرضت فيه التطبيقات الفعلية لهذه التشريعات في ماضيهم السحيق، واستصحبت صورا من تاريخهم الماضي والمعاصر لبيان أن هذه التشريعات لم تكن مدونات مهجورة منسية؛ بل هي عقيدة مقدسة عندهم، ومنهج متبع، وقارنت هذه التشريعات أو التطبيقات بشريعة الإسلام وبفعل الأماجد من قادة الأمة الإسلامية عبر التاريخ، وفي الخاتمة أوردت النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث.

وقد سرت في هذا البحث وفق المنهج التالي:

أولا: المبحث الأول المتعلق بالأحكام فأنني أرجع إلى العهد القديم والعهد الجديد (أي كتابهم المعتمد) فما وجدت فيه من نص أو دليل يتعلق بحكم من أحكام الحرب فقد دونته ثم صنفته تحت المطلب الذي يندرج تحته، ولكن ينبغي أن يعلم أن هذه النصوص منها ما يعتبر حكما واضحا منصوصا عليه متضمنا الحكم وكيفية تنفيذه، مثل كيفية محاصرة مدينة، وأحيانا استنبط الحكم من حادثة معينة يمكن أن تكون تطبيقا ويمكن أن تكون تشريعا؛ لأن هذا الفعل منسوب لنبي من أنبيائهم ونحن نلزمهم به من باب الإلزام، لا أننا نعتقد صحته، ولا صحة من نسب إليه، ثم أقارن بين هذا الحكم وما يقابله أو يعارضه في شريعة الإسلام.

ثانيا: المبحث الثاني المتعلق بالتطبيق فقد اعتمدت فيه على تصدير الفقرة أو المطلب بشاهد أو أكثر من كتابهم المعتمد، مع إيراد الشواهد التاريخية من حروبهم في الماضي والحاضر مع مخالفيهم؛ ليتبين التتابع بين السابق واللاحق على الفعل، وأقارن

ذلك بنماذج من تاريخنا المشرق من تعاملنا مع المخالفين، قدر المستطاع.

وفي ختام هذه المقدمة أشكر الله الذي استعملنا في هذا الميدان الشريف، ووفقنا للذود عن منهج سيد المرسلين ﷺ، ثم أشكر كل من أسهم معي في إخراج هذا البحث، واسأل الله أن يجعله صالحا خالصا، وأن يجعله حجة لنا لا علينا؛ إنه ولي ذلك ومولية والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: أحكام الحرب في كتابهم المقدس

الحرب في تاريخ الأمم خيار صعب، وهي كره للنفوس، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ {سورة البقرة ٢١٦}. وقوله (وهو كره لكم) أي شديد عليكم ومشقة، وهو كذلك؛ فإنه إما أن يقتل أو يجرح، مع مشقة السفر ومجالدة الأعداء.[1]

وهي آخر العلاج بين الأمم التي قد تعجز أن تصل إلى إحقاق الحق ورفع الظلم إلا من خلال الحرب التي تعيد الحق إلى نصابه، وتردع الباغي وتنصف المظلوم... وهي مع ذلك في كل الشرائع الإلهية والعلاقات الدولية تسير وفق قواعد عامة ومبادئ سامية، فلا يقتل جريح ولا أسير، ولا تحرق فيها الأوطان، ولا يمثل بجثث الأموات، ولا يقتل من لم يقاتل من امرأة أو شيخ أو طفل أو حيوان...

ولكن هل سارت شرائع كتابهم المقدس على هذه الأصول المعتبرة في الحروب؟ لا لم تسر عليها بل جاءت بشرائع دموية مرعبة للحياة وللأحياء، وسأسوق للقارئ بعض ما تضمنته كتبهم من شرائع تتعلق بالحرب سواء وردت على سبيل التشريع المتعلق بالحرب ابتداءً، أو كانت خبرا عن رعب وحرب ماضية. فمن ذلك:

الحكم الأول: أن يضرب جميع سكان المدينة الرجال والنساء والأطفال وحتى

الحيوان بالسيف سواء المقاتل أو غيره، وتحرق المدينة كاملة بكل ما اشتملت عليه من متاع، جاء في سفر التثنية، بل سفر الحرب:(فَضَرْبًا تَضْرِبُ سُكَّانَ تِلْكَ الْمَدِينَةِ بِحَدِّ السَّيْفِ، وَتُحَرِّمُهَا بِكُلِّ مَا فِيهَا مَعَ بَهَائِمِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. ١٦تَجْمَعُ كُلَّ أَمْتِعَتِهَا إِلَى وَسَطِ سَاحَتِهَا، وَتُحْرِقُ بِالنَّارِ الْمَدِينَةَ وَكُلَّ أَمْتِعَتِهَا كَامِلَةً لِلرَّبِّ إِلهِكَ، فَتَكُونُ تَلاًّ إِلَى الأَبَدِ لاَ تُبْنَى بَعْدُ). تثنية١٣.

وهذا القتل لا يستبقي طفلا ولا امرأة ففي صموئيل:(٣فَالآنَ اذْهَبْ وَاضْرِبْ عَمَالِيقَ، وَحَرِّمُوا كُلَّ مَا لَهُ وَلاَ تَعْفُ عَنْهُمْ بَلِ اقْتُلْ رَجُلاً وَامْرَأَةً، طِفْلاً وَرَضِيعًا، بَقَرًا وَغَنَمًا، جَمَلاً وَحِمَارًا). صموئيل الأول١٥ .

وفي الملوك الثاني: (٣٥وَكَانَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَنَّ مَلاَكَ الرَّبِّ خَرَجَ وَضَرَبَ مِنْ جَيْشِ أَشُّورَ مِئَةَ أَلْفٍ وَخَمْسَةً وَثَمَانِينَ أَلْفًا. وَلَمَّا بَكَّرُوا صَبَاحًا إِذَا هُمْ جَمِيعًا جُثَثٌ مَيْتَةٌ). ملوك الثاني ٢٠.

وجاء في حزقيال – ولهذا السفر مكانة عظيمة عند اليهود والنصارى[٢] – الوعيد بالهلاك والانتقام من أمم كاملة؛ لأنها قد أساءت إلى اليهود، ولكن هذه النصوص لم تستثن صبيا أو شيخا أو حيوانا بل نصت على الإبادة التامة:« هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: مِنْ أَجْلِ أَنَّ أَدُومَ قَدْ عَمِلَ بِالانْتِقَامِ عَلَى بَيْتِ يَهُوذَا وَأَسَاءَ إِسَاءَةً وَانْتَقَمَ مِنْهُ، ١٣لِذلِكَ هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: وَأَمُدُّ يَدِي عَلَى أَدُومَ، وَأَقْطَعُ مِنْهَا الإِنْسَانَ وَالْحَيَوَانَ، وَأُصَيِّرُهَا خَرَابًا. مِنَ التَّيْمَنِ وَإِلَى دَدَانَ يَسْقُطُونَ بِالسَّيْفِ. ١٤وَأَجْعَلُ نَقْمَتِي فِي أَدُومَ بِيَدِ شَعْبِي إِسْرَائِيلَ، فَيَفْعَلُونَ بِأَدُومَ كَغَضَبِي وَكَسَخَطِي، فَيَعْرِفُونَ نَقْمَتِي، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: مِنْ أَجْلِ أَنَّ الْفِلِسْطِينِيِّينَ قَدْ عَمِلُوا بِالانْتِقَامِ، وَانْتَقَمُوا نَقْمَةً بِالإِهَانَةِ إِلَى الْمَوْتِ لِلْخَرَابِ مِنْ عَدَاوَةٍ أَبَدِيَّةٍ، ١٦فَلِذلِكَ هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هأَنَذَا أَمُدُّ يَدِي عَلَى الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَأَسْتَأْصِلُ الْكَرِيتِيِّينَ، وَأُهْلِكُ بَقِيَّةَ سَاحِلِ الْبَحْرِ. ١٧وَأُجْرِي عَلَيْهِمْ نَقَمَاتٍ عَظِيمَةً بِتَأْدِيبِ سَخَطٍ، فَيَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ، إِذْ أَجْعَلُ نَقْمَتِي عَلَيْهِمْ». حزقيال ٢٥.

إن النصوص لا تكتفي بأن تشرّع الإبادة بل تربي على الاستعلاء على الآخرين وترسم إستراتيجية الإبادة كما وردت في سفر ميخا :(٧وَتَكُونُ بَقِيَّةُ يَعْقُوبَ فِي وَسَطِ شُعُوبٍ كَثِيرِينَ كَالنَّدَى مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ، كَالْوَابِلِ عَلَى الْعُشْبِ الَّذِي لاَ يَنْتَظِرُ إِنْسَانًا وَلاَ يَصْبِرُ لِبَنِي الْبَشَرِ. ٨وَتَكُونُ بَقِيَّةُ يَعْقُوبَ بَيْنَ الأُمَمِ فِي وَسَطِ شُعُوبٍ كَثِيرِينَ كَالأَسَدِ بَيْنَ وُحُوشِ الْوَعْرِ، كَشِبْلِ الأَسَدِ بَيْنَ قُطْعَانِ الْغَنَمِ، الَّذِي إِذَا عَبَرَ يَدُوسُ وَيَفْتَرِسُ وَلَيْسَ مَنْ يُنْقِذُ. ٩لِتَرْتَفِعْ يَدُكَ عَلَى مُبْغِضِيكَ وَيَنْقَرِضْ كُلُّ أَعْدَائِكَ). ميخا ٥

ويُكملُ رسم الإستراتيجية سفر الخروج ويقدم جدولة الإبادة والهلاك، إنها إبادة متدرجة، ونفي شامل للأجناس المجاورة، وقد روعي التدرج لا رحمة بالشعوب التي حق عليها الهلاك؛ ولكن رحمة بالعنصر الذي شرعت الإبادة من أجله؛ لئلا يستوحش في الأرض؛ وتكثر عليه وحوش البرية، فقد جاء في هذا السفر:(٢٨وَأُرْسِلُ أَمَامَكَ الزَّنَابِيرَ. فَتَطْرُدُ الْحِوِّيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ مِنْ أَمَامِكَ. ٢٩لاَ أَطْرُدُهُمْ مِنْ أَمَامِكَ فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ، لِئَلاَّ تَصِيرَ الأَرْضُ خَرِبَةً، فَتَكْثُرَ عَلَيْكَ وُحُوشُ الْبَرِّيَّةِ. ٣٠قَلِيلاً قَلِيلاً أَطْرُدُهُمْ مِنْ أَمَامِكَ إِلَى أَنْ تُثْمِرَ وَتَمْلِكَ الأَرْضَ. ٣١وَأَجْعَلُ تُخُومَكَ مِنْ بَحْرِ سُوفٍ إِلَى بَحْرِ فِلِسْطِينَ، وَمِنَ الْبَرِّيَّةِ إِلَى النَّهْرِ. فَإِنِّي أَدْفَعُ إِلَى أَيْدِيكُمْ سُكَّانَ الأَرْضِ، فَتَطْرُدُهُمْ مِنْ أَمَامِكَ. ٣٢لاَ تَقْطَعْ مَعَهُمْ وَلاَ مَعَ آلِهَتِهِمْ عَهْدًا). خروج ٢٣. إن هذه الشعوب لا تستأصل لعصيانها ومخالفتها للشريعة؛ إنما تستأصل بسبب العنصر، إنه التطهير العرقي والتصفية الجسدية التي تقتضي طرد المخالف وامتلاك أرضه، وعدم قطع العهد معه.

وبعد أن تُستكْمل إستراتيجية الإبادة تأتي التشريعات المتضمنة لكيفية التعامل مع الشعوب المجاورة بعد تطهير المكان منها، ففي سفر التثنية«١مَتَى أَتَى بِكَ الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكَهَا، وَطَرَدَ شُعُوبًا كَثِيرَةً مِنْ أَمَامِكَ: الْحِثِّيِّينَ وَالْجِرْجَاشِيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، سَبْعَ شُعُوبٍ أَكْثَرَ وَأَعْظَمَ مِنْكَ، ٢وَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ إِلهُكَ أَمَامَكَ، وَضَرَبْتَهُمْ، فَإِنَّكَ تُحَرِّمُهُمْ. لاَ تَقْطَعْ لَهُمْ عَهْدًا، وَلاَ تُشْفِقْ عَلَيْهِمْ، ٣وَلاَ تُصَاهِرْهُمْ. بِنْتَكَ لاَ تُعْطِ لابْنِهِ، وَبِنْتُهُ لاَ تَأْخُذْ لابْنِكَ. ٤لأَنَّهُ يَرُدُّ ابْنَكَ

مِنْ وَرَائِي فَيَعْبُدُ آلِهَةً أُخْرَى، فَيَحْمَى غَضَبُ الرَّبِّ عَلَيْكُمْ وَيُهْلِكُكُمْ سَرِيعًا. [٥]وَلكِنْ هكَذَا تَفْعَلُونَ بِهِمْ: تَهْدِمُونَ مَذَابِحَهُمْ، وَتُكَسِّرُونَ أَنْصَابَهُمْ، وَتُقَطِّعُونَ سَوَارِيَهُمْ، وَتُحْرِقُونَ تَمَاثِيلَهُمْ بِالنَّارِ. [٦]لأَنَّكَ أَنْتَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، [٧]لَيْسَ مِنْ كَوْنِكُمْ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ، الْتَصَقَ الرَّبُّ بِكُمْ وَاخْتَارَكُمْ، لأَنَّكُمْ أَقَلُّ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ. [٨]بَلْ مِنْ مَحَبَّةِ الرَّبِّ إِيَّاكُمْ، وَحِفْظِهِ الْقَسَمَ الَّذِي أَقْسَمَ لآبَائِكُمْ، أَخْرَجَكُمُ الرَّبُّ بِيَدٍ شَدِيدَةٍ وَفَدَاكُمْ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ مِنْ يَدِ فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ [٩]فَاعْلَمْ أَنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ هُوَ اللهُ، الإِلهُ الأَمِينُ، الْحَافِظُ الْعَهْدَ وَالإِحْسَانَ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ وَيَحْفَظُونَ وَصَايَاهُ إِلَى أَلْفِ جِيل، [١٠]وَالْمُجَازِي الَّذِينَ يُبْغِضُونَهُ بِوُجُوهِهِمْ لِيُهْلِكَهُمْ. لاَ يُمْهِلُ مَنْ يُبْغِضُهُ. بِوَجْهِهِ يُجَازِيهِ. [١١]فَاحْفَظِ الْوَصَايَا وَالْفَرَائِضَ وَالأَحْكَامَ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ الْيَوْمَ لِتَعْمَلَهَا) تثنية٧.

فها هي ذي سبعة شعوب كاملة تطرد من أوطانها، ويمنع الشعب المقدس كما زعموا - من أن يقطع معهم عهدا، أو يتزوج منهم أو يزوجهم، والعجيب أن هذا النص يشهد على أن هؤلاء القوم الذين طهرت الأرض من أهلها بسببهم ليس ذلك راجع لكثرتهم، أو لصلاحهم، وإنما من محبة الرب لهم فقط وبسبب القسم الذي قطعه مع آبائهم من قبل، والثابت في العقل والنقل أن الله ليس بينه وبين أحد من خلقه سبب ولا نسب إلا التقوى فمن جاء بها فاز ووجد النصر والتمكين الإلهي، ومن جاء بنسب شريف وعمل خبيث فقد أحاط به عمله، وأوبقته خطيئته.

قارن هذا مع نهي الرسول ﷺ عن قتل النساء والولدان،[٣] وقارن هذا الفعل الشنيع مع التوجيه النبوي الكريم الذي يحفظ حق المخالف غير الحربي بقوله ﷺ:(من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما)[٤] فهنا عهد ومعاهد، وحقن لدم اليهودي أو النصراني، والإسلام مع ذلك يحكم بكفرهما، ويحفظ دمهما إذا كانا معاهدين أو مستأمنين.

الحكم الثاني: أن تستبقى أسرة من المدينة مقابل قيامها بالتجسس لصالح الغزاة، فحينئذ تحرق المدينة بعد إخراج الأسرة المتعاونة، أما الفضة والذهب والحديد والنحاس فلا ينالها الحريق؛ بل تجعل في خزانة رب الذهب. جاء في سفر يشوع:([٢٢]وَقَالَ يَشُوعُ لِلرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ تَجَسَّسَا الأَرْضَ: «ادْخُلاَ بَيْتَ الْمَرْأَةِ الزَّانِيَةِ وَأَخْرِجَا مِنْ هُنَاكَ الْمَرْأَةَ وَكُلَّ مَا لَهَا كَمَا حَلَفْتُمَا لَهَا». [٢٣]فَدَخَلَ الْغُلاَمَانِ الْجَاسُوسَانِ وَأَخْرَجَا رَاحَابَ وَأَبَاهَا وَأُمَّهَا وَإِخْوَتَهَا وَكُلَّ مَا لَهَا، وَأَخْرَجَا كُلَّ عَشَائِرِهَا وَتَرَكَاهُمْ خَارِجَ مَحَلَّةِ إِسْرَائِيلَ. [٢٤]وَأَحْرَقُوا الْمَدِينَةَ بِالنَّارِ مَعَ كُلِّ مَا بِهَا، إِنَّمَا الْفِضَّةُ وَالذَّهَبُ وَآنِيَةُ النُّحَاسِ وَالْحَدِيدِ جَعَلُوهَا فِي خِزَانَةِ بَيْتِ الرَّبِّ. [٢٥]وَاسْتَحْيَا يَشُوعُ رَاحَابَ الزَّانِيَةَ وَبَيْتَ أَبِيهَا وَكُلَّ مَا لَهَا، وَسَكَنَتْ فِي وَسَطِ إِسْرَائِيلَ إِلَى هذَا الْيَوْمِ، لأَنَّهَا خَبَّأَتِ الْمُرْسَلَيْنِ اللَّذَيْنِ أَرْسَلَهُمَا يَشُوعُ لِكَيْ يَتَجَسَّسَا أَرِيحَا). يشوع ٦.

الحكم الثالث : ألا يبقى شارد ولا طريد. ففي الخبر الذي ساقه يشوع عن غزوه لبلدة عاي وماذا انتهى إليه أمرها قال: (وَضَرَبُوهُمْ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ شَارِدٌ وَلاَ مُنْفَلِتٌ).يشوع ٨.

الحكم الرابع: قتل الملوك وتعليق جثثهم على أبواب المدينة إلى المساء ففي سفر يشوع تكملة رواية خبر يشوع مع بلدة عاي مما يتعلق بملك البلدة وهي قوله : ([٢٨]وَأَحْرَقَ يَشُوعُ عَايَ وَجَعَلَهَا تَلاًّ أَبَدِيًّا خَرَابًا إِلَى هذَا الْيَوْمِ. [٢٩]وَمَلِكُ عَايٍ عَلَّقَهُ عَلَى الْخَشَبَةِ إِلَى وَقْتِ الْمَسَاءِ. وَعِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ أَمَرَ يَشُوعُ فَأَنْزَلُوا جُثَّتَهُ عَنِ الْخَشَبَةِ وَطَرَحُوهَا عِنْدَ مَدْخَلِ بَابِ الْمَدِينَةِ، وَأَقَامُوا عَلَيْهَا رُجْمَةَ حِجَارَةٍ عَظِيمَةً إِلَى هذَا الْيَوْمِ). يشوع ٨. وفي الإصحاح العاشر منه: ([٢٦]وَضَرَبَهُمْ يَشُوعُ بَعْدَ ذلِكَ وَقَتَلَهُمْ وَعَلَّقَهُمْ عَلَى خَمْسِ خَشَبٍ، وَبَقُوا مُعَلَّقِينَ عَلَى الْخَشَبِ حَتَّى الْمَسَاءِ). يشوع١٠. وهذا يذكرنا بالمآل الذي انتهى إليه أمر حاكم العراق السابق صدام حسين.

الحكم الخامس: تحريق الحيوانات أو قتلها تبعا للسكان أو تركها واستبقاؤها

غنيمة: (٢٧لكِنِ الْبَهَائِمُ وَغَنِيمَةُ تِلْكَ الْمَدِينَةِ نَهَبَهَا إِسْرَائِيلُ لأَنْفُسِهِمْ حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ الَّذِي أَمَرَ بِهِ يَشُوعَ.) يشوع ٨. ومثل هذا النص في يشوع ١١. ومثله في التثنية،٢و٣.

وللخيل - التي عقد بنواصيها الخير إلى يوم القيامة - معاملة خاصة وهي عرقبة الخيل:(٩فَفَعَلَ يَشُوعُ بِهِمْ كَمَا قَالَ لَهُ الرَّبُّ. عَرْقَبَ خَيْلَهُمْ). يشوع ١١.

ففي النص السابق كان الحكم يقضي بنهب البهائم مع سائر الغنائم، ولكننا نجد نصوصا أخرى تخبرنا أنهم لم يلتزموا هذا الحكم في كل الأحوال بل أحيانا يكون حكمها التحريم والقتل بحد السيف، فمن ذلك ماجاء في سفر القضاة(٤٨)وَرَجَعَ رِجَالُ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى بَنِي بَنْيَامِينَ وَضَرَبُوهُمْ بِحَدِّ السَّيْفِ مِنَ الْمَدِينَةِ بِأَسْرِهَا، حَتَّى الْبَهَائِمَ، حَتَّى كُلَّ مَا وُجِدَ). قضاة ٢٠.

وجاء في سفر يشوع الإصحاح السادس:(وَصَعِدَ الشَّعْبُ إِلَى الْمَدِينَةِ كُلُّ رَجُل مَعَ وَجْهِهِ، وَأَخَذُوا الْمَدِينَةَ. ٢١وَحَرَّمُوا كُلَّ مَا فِي الْمَدِينَةِ مِنْ رَجُل وَامْرَأَةٍ، مِنْ طِفْل وَشَيْخٍ، حَتَّى الْبَقَرَ وَالْغَنَمَ وَالْحَمِيرَ بِحَدِّ السَّيْفِ). يشوع ٦.

الحكم السادس: أن تكون الحرب بلا هدف فيقتل فيها الأبرار والأشرار ففي سفر حزقيال: (وَقُلْ لأَرْضِ إِسْرَائِيلَ: هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: هأَنَذَا عَلَيْكِ، وَأَسْتَلُّ سَيْفِي مِنْ غِمْدِهِ فَأَقْطَعُ مِنْكِ الصِّدِّيقَ وَالشِّرِّيرَ. ٤مِنْ حَيْثُ أَنِّي أَقْطَعُ مِنْكِ الصِّدِّيقَ وَالشِّرِّيرَ، فَلِذلِكَ يَخْرُجُ سَيْفِي مِنْ غِمْدِهِ عَلَى كُلِّ بَشَرٍ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشِّمَالِ. ٥فَيَعْلَمُ كُلُّ بَشَرٍ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ، سَلَلْتُ سَيْفِي مِنْ غِمْدِهِ. لاَ يَرْجعُ أَيْضًا).حزقيال٢١. فهي حرب كما ترى لا تستبقي صدّيقا ولا شريرا، تسل السيف على البشر عامة.

الحكم السابع: أن الله يبيد الأمم والشعوب ويفنيهم من أمامهم، وإن لم يكونوا أبرارا، وإن كانوا كما عبر عنهم النص (شعب صلب الرقبة)، وإن كانت هذه الشعوب أكثر وأقوى؛ وما ذاك إلا لأن الرب معهم يدافع عنهم ويبيد عدوهم - كما زعموا - وهذا ليس لصلاحهم بل لفساد عدوهم، ومن أجل العهد الذي أعطاه الله لإبراهيم وإسحاق ويعقوب

وهذا الشاهد هو ما ورد في سفر التثنية: (اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ، أَنْتَ الْيَوْمَ عَابِرٌ الأُرْدُنَّ لِكَيْ تَدْخُلَ وَتَمْتَلِكَ شُعُوبًا أَكْبَرَ وَأَعْظَمَ مِنْكَ، وَمُدُنًا عَظِيمَةً وَمُحَصَّنَةً إِلَى السَّمَاءِ. ٢قَوْمًا عِظَامًا وَطِوَالاً، بَنِي عَنَاقَ الَّذِينَ عَرَفْتَهُمْ وَسَمِعْتَ: مَنْ يَقِفُ فِي وَجْهِ بَنِي عَنَاقَ؟ ٣فَاعْلَمِ الْيَوْمَ أَنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ هُوَ الْعَابِرُ أَمَامَكَ نَارًا آكِلَةً. هُوَ يُبِيدُهُمْ وَيُذِلُّهُمْ أَمَامَكَ، فَتَطْرُدُهُمْ وَتُهْلِكُهُمْ سَرِيعًا كَمَا كَلَّمَكَ الرَّبُّ. ٤لاَ تَقُلْ فِي قَلْبِكَ حِينَ يَنْفِيهِمِ الرَّبُّ إِلهُكَ مِنْ أَمَامِكَ قَائِلاً: لأَجْلِ بِرِّي أَدْخَلَنِي الرَّبُّ لأَمْتَلِكَ هذِهِ الأَرْضَ. وَلأَجْلِ إِثْمِ هؤُلاَءِ الشُّعُوبِ يَطْرُدُهُمُ الرَّبُّ مِنْ أَمَامِكَ. ٥لَيْسَ لأَجْلِ بِرِّكَ وَعَدَالَةِ قَلْبِكَ تَدْخُلُ لِتَمْتَلِكَ أَرْضَهُمْ، بَلْ لأَجْلِ إِثْمِ أُولئِكَ الشُّعُوبِ يَطْرُدُهُمُ الرَّبُّ إِلهُكَ مِنْ أَمَامِكَ، وَلِكَيْ يَفِيَ بِالْكَلاَمِ الَّذِي أَقْسَمَ الرَّبُّ عَلَيْهِ لآبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ. ٦فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ لأَجْلِ بِرِّكَ يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ هذِهِ الأَرْضَ الْجَيِّدَةَ لِتَمْتَلِكَهَا، لأَنَّكَ شَعْبٌ صُلْبُ الرَّقَبَةِ).تثنية ٧.

ما أسهل الادعاء وأيسر الزعم، فلعمر الحق إن لم يكونوا صالحين فما الذي استبقاهم من العذاب؟! وإن كانوا (شعبا صلب الرقبة) كما وصفهم النص فما الذي يؤهلهم للولاية الإلهية؟ ألم يقل الله لخليله إبراهيم عليه السلام لما دعاه أن يكون العهد دائما في ذريته قال له ربه:﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾{ سورة البقرة، ١٢٤ }.

وادعت اليهود والنصارى أنهم أحق بإبراهيم عليه السلام فقال جل ثناؤه : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ {سورة آل عمران،٦٧}.

وادعت اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه فكذبهم وامتحنهم فقال جل ثناؤه: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ

وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ {سورة المائدة، ١٨}.

الحكم الثامن: كيفية حصار المدن، إذا عزموا على حصار مدينة فيدعونها إلى الصلح؛ فإن أجابت وفتحت أبوابها، فيصبح السكان كلهم عبيدا لهم، أما إذا لم تسالم ودافعت عن نفسها ثم سقطت فيقتل جميع ذكورها بحد السيف، أما الأطفال والنساء والبهائم وكل ما في المدينة فيكونون غنيمة للغزاة، وهذا الحكم إذا كانت المدينة بعيدة عنهم، أما إذا كانت المدينة قريبة منهم فيختلف الحكم، ويكون حكمها حينئذ أن تحرم المدينة كاملة فلا يستبق فيها نسمة، وقد جاء النص بهذا الحكم وقد تضمن إبادة شعوب بأكملها تحقيقا لهذا الحكم، ففي سفر التثنية: (حِينَ تَقْرُبُ مِنْ مَدِينَةٍ لِكَيْ تُحَارِبَهَا اسْتَدْعِهَا إِلَى الصُّلْحِ، [١١]فَإِنْ أَجَابَتْكَ إِلَى الصُّلْحِ وَفَتَحَتْ لَكَ، فَكُلُّ الشَّعْبِ الْمَوْجُودِ فِيهَا يَكُونُ لَكَ لِلتَّسْخِيرِ وَيُسْتَعْبَدُ لَكَ. [١٢]وَإِنْ لَمْ تُسَالِمْكَ، بَلْ عَمِلَتْ مَعَكَ حَرْبًا، فَحَاصِرْهَا. [١٣]وَإِذَا دَفَعَهَا الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى يَدِكَ فَاضْرِبْ جَمِيعَ ذُكُورِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. [١٤]وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالأَطْفَالُ وَالْبَهَائِمُ وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ، كُلُّ غَنِيمَتِهَا، فَتَغْتَنِمُهَا لِنَفْسِكَ، وَتَأْكُلُ غَنِيمَةَ أَعْدَائِكَ الَّتِي أَعْطَاكَ الرَّبُّ إِلهُكَ. [١٥]هكَذَا تَفْعَلُ بِجَمِيعِ الْمُدُنِ الْبَعِيدَةِ مِنْكَ جِدًّا الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ مُدُنِ هؤُلاَءِ الأُمَمِ هُنَا. [١٦]وَأَمَّا مُدُنُ هؤُلاَءِ الشُّعُوبِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيبًا فَلاَ تَسْتَبْقِ مِنْهَا نَسَمَةً مَّا، [١٧]بَلْ تُحَرِّمُهَا تَحْرِيمًا: الْحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، كَمَا أَمَرَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ). تثنية ٢٠.

الحكم التاسع: المرأة الجميلة تقع في السبي، إذا وقعت امرأة جميلة في السبي، وأراد أحدهم أن يتخذها له زوجة، فعليها أن تحلق رأسها، وتقلم أظفارها، وتنزع عنها ثيابها، وتبكي أهلها شهرا، ثم يتخذها زوجة بعد ذلك. جاء في سفر التثنية : (إِذَا خَرَجْتَ لِمُحَارَبَةِ أَعْدَائِكَ وَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى يَدِكَ، وَسَبَيْتَ مِنْهُمْ سَبْيًا، [١١]وَرَأَيْتَ فِي السَّبْيِ امْرَأَةً جَمِيلَةَ الصُّورَةِ، وَالْتَصَقْتَ بِهَا وَاتَّخَذْتَهَا لَكَ زَوْجَةً، [١٢]فَحِينَ تُدْخِلُهَا إِلَى بَيْتِكَ تَحْلِقُ رَأْسَهَا وَتُقَلِّمُ أَظْفَارَهَا [١٣]وَتَنْزِعُ ثِيَابَ سَبْيِهَا عَنْهَا، وَتَقْعُدُ فِي بَيْتِكَ وَتَبْكِي أَبَاهَا وَأُمَّهَا شَهْرًا مِنَ الزَّمَانِ، ثُمَّ بَعْدَ ذلِكَ تَدْخُلُ عَلَيْهَا وَتَتَزَوَّجُ بِهَا، فَتَكُونُ لَكَ زَوْجَةً). تثنية ٢١.

الحكم العاشر: معاقبة الأجيال بجريرة الآباء وعدم مسالمتهم أبد الدهر، وجرم الأبناء أن آباءهم لم يقدموا لبني إسرائيل الخبز والماء أثناء خروجهم من مصر: (لاَ يَدْخُلْ مِنْهُمْ أَحَدٌ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ إِلَى الأَبَدِ، ٤مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ لَمْ يُلاَقُوكُمْ بِالْخُبْزِ وَالْمَاءِ فِي الطَّرِيقِ عِنْدَ خُرُوجِكُمْ مِنْ مِصْرَ، ٦ لاَ تَلْتَمِسْ سَلاَمَهُمْ وَلاَ خَيْرَهُمْ كُلَّ أَيَّامِكَ إِلَى الأَبَدِ). تثنية ٢٣. وهذا المبدأ والعقيدة يؤكدان أنها شريعة عامة ففي سفر الخروج: (مُفْتَقِدٌ إِثْمَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ، وَفِي أَبْنَاءِ الأَبْنَاءِ، فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ). خروج ٣٤.

وهذا يتعارض مع العدل الإلهي قال جل ثناؤه وتقدست أسماؤه: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ {سورة الأنعام، ١٦٤}. و في كتابهم المقدس ما يوافق القرآن ففي إرمياء: (يَقُولُ الرَّبُّ. [٢٩]فِي تِلْكَ الأَيَّامِ لاَ يَقُولُونَ بَعْدُ: الآبَاءُ أَكَلُوا حِصْرِمًا، وَأَسْنَانُ الأَبْنَاءِ ضَرِسَتْ. [٣٠]بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ يَمُوتُ بِذَنْبِهِ. كُلُّ إِنْسَانٍ يَأْكُلُ الْحِصْرِمَ تَضْرَسُ أَسْنَانُهُ.) إرمياء ٣١. وفي حزقيال: ([٢٠]اَلنَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ. اَلابْنُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الأَبِ، وَالأَبُ لاَ يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الابْنِ. بِرُّ الْبَارِّ عَلَيْهِ يَكُونُ، وَشَرُّ الشِّرِّيرِ عَلَيْهِ يَكُونُ). حزقيال١٨.[٥] لكن لأن كتابهم كُتِبَ عبر مدد متطاولة فلا يدري التالي ما كتب الأول، ولم يطلع اللاحق على ما افتراه السابق.

الحكم الحادي عشر: الاستعداد للحرب ورفع السلم، ووضع السيف

تضمنت شرائع كتابهم المقدس المتعلقة بالحرب أمراً بالاستعداد للحرب ورفعا للسلم، ووضعا للسيف على الرقاب؛ فها هو المسيح كما ينسبون له – وهم يرون أن دينه دين سلام – يوصي أتباعه بالتزود للحرب وأن يبيع المرء منهم متاعه ويشتري سيفا :([٣٥]ثُمَّ قَالَ لَهُمْ : «حِينَ أَرْسَلْتُكُمْ بِلاَ كِيسٍ وَلاَ مِزْوَدٍ وَلاَ أَحْذِيَةٍ، هَلْ أَعْوَزَكُمْ شَيْءٌ؟» فَقَالُوا: «لاَ». [٣٦]فَقَالَ لَهُمْ:«لكِنِ الآنَ، مَنْ لَهُ كِيسٌ فَلْيَأْخُذْهُ وَمِزْوَدٌ كَذلِكَ. وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَلْيَبِعْ ثَوْبَهُ وَيَشْتَرِ سَيْفًا). لوقا ٢٢. وافترى الكتبة على المسيح عليه السلام أنه دفع عن نفسه الظن به

أنه إنما جاء ليلقي على الأرض سلاما وبين أن رسالته – كما يزعمون – إعلان حرب على البشر فيقول متى في إنجيله:(لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَمًا عَلَى الأَرْضِ. مَا جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَمًا بَلْ سَيْفًا. [٣٥]فَإِنِّي جِئْتُ لأُفَرِّقَ الإِنْسَانَ ضِدَّ أَبِيهِ، وَالابْنَةَ ضِدَّ أُمِّهَا، وَالْكَنَّةَ ضِدَّ حَمَاتِهَا. [٣٦]وَأَعْدَاءُ الإِنْسَانِ أَهْلُ بَيْتِهِ).متى ١٠. [(٦)]

وهذا الاستعداد للحرب يصاحبه التبشير بالسيف العام للبشر، ورفع السلم جاء في إرمياء: (لأَنَّ سَيْفًا لِلرَّبِّ يَأْكُلُ مِنْ أَقْصَى الأَرْضِ إِلَى أَقْصَى الأَرْضِ. لَيْسَ سَلاَمٌ لأَحَدٍ مِنَ الْبَشَرِ). إرمياء١٢. فمهما رجا مجاورهم السلام منهم فلا سلام فهذا خبر إشعياء: ([٢٢]لاَ سَلاَمَ، قَالَ الرَّبُّ لِلأَشْرَارِ». إشعياء ٤٨. فهذا وعد للأشرار بعدم السلام – لكن الخيرية وضدها في ميزان من ؟ - وإعلان للحرب مع المخالف وإن قطع معه عهدا، فما في كتابهم المقدس ينقض ما تمخضت عنه المؤتمرات؛ لأنه إذا أمر بعدم السلام فأي سلام يقطعه مع المخالف فهو يعتبره مخالفة دينية يجب التخلص منها.

وهنا تكون التوطئة لمنظر الدم والقتل، وتهيئة الرأي العام للمناظر البشعة المؤذية، بل هي التربية على الدم، إنها ثقافة الدم، فالدم تابع ومتبوع، يقول حزقيال في كتابه:(يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، إِنِّي أُهَيِّئُكَ لِلدَّمِ، وَالدَّمُ يَتْبَعُكَ. إِذْ لَمْ تَكْرَهِ الدَّمَ فَالدَّمُ يَتْبَعُكَ. [٧]فَأَجْعَلُ جَبَلَ سَعِيرَ خَرَابًا وَمُقْفِرًا، وَأَسْتَأْصِلُ مِنْهُ الذَّاهِبَ وَالآئِبَ. [٨]وَأَمْلأُ جِبَالَهُ مِنْ قَتْلاَهُ. تِلاَلُكَ وَأَوْدِيَتُكَ وَجَمِيعُ أَنْهَارِكَ يَسْقُطُونَ فِيهَا قَتْلَى بِالسَّيْفِ. [٩]وَأُصَيِّرُكَ خِرَبًا أَبَدِيَّةً، وَمُدُنُكَ لَنْ تَعُودَ، فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ). حزقيال ٣٥. راجع تثنية ٧/١ ٧/١٦.

إن هذه التربية لا تقف عند ممارسة القتل والتشفي بالدم بل تتمادى حتى يفرح المرء منهم برؤية النقم، ويتوج هذا الفرح بالاغتسال بدم الخصم، جاء في سفر المزامير: ([١٠]يَفْرَحُ الصِّدِّيقُ إِذَا رَأَى النَّقْمَةَ. يَغْسِلُ خُطُواتِهِ بِدَمِ الشِّرِّيرِ). مزمور ٥٨، فويل للبشرية من حملة هذا الاعتقاد، وويل للبشرية من المغتسلين بالدم وويل لحملة هذا الاعتقاد من النار.

بينما القرآن العظيم لم يذكر فيه لفظ السيف إطلاقا، ورسالة الرسول ﷺ تبشر

بالسلام العام وتبشر بالجنة؛ ولذا لما قدم النبي الكريم ﷺ إلى المدينة، وكانت فيها طائفة من اليهود وفيهم أحبار وعلماء، ومنهم عبد الله بن سلام فقال: (لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه، وقيل قدم رسول الله ﷺ، فجئت في الناس لأنظر إليه، فلما تبينتُ وجه رسول الله ﷺ عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، وكان أول شيء تكلم به أن قال: أيها الناس! أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا والناس نيام؛ تدخلون الجنة بسلام). [٧] إنها رسالة تدعو إلى السلام، وبذل الندى للناس.

فهو ﷺ لا يكتفي أن يبشر بالسلام العام بل يبشر بجنة عرضها السموات والأرض يقول أبو هريرة إن النبي ﷺ أمره أن يبشر من يلقاه بالجنة قال ﷺ :(من لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة) [٨] وقال تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ {سورة فصلت،٣٠}. وما ذاك إلا لأن هذه الرسالة رسالة رحمة للبشرية قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ {سورة الأنبياء، ١٠٧}. فالله سبحانه وتعالى أرسله رحمة للخلق كلهم مؤمنهم وكافرهم؛ ولذا قال إمام المفسرين ابن جرير بعد أن أورد الأقوال في هذه الآية: (وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الذي روي عن ابن عباس وهو أن الله أرسل نبيه محمداً ﷺ رحمة لجميع العالم مؤمنهم وكافرهم، فأما مؤمنهم فإن الله هداه به وأدخله بالإيمان به وبالعمل بما جاء من عند الله الجنة، وأما كافرهم فإنه دفع به عنه عاجل البلاء الذي كان ينزل بالأمم المكذبة رسلها من قبله).[٩]

وبين النبي ﷺ أن من رحمة الله بخلقه أنه كتب على نفسه أن رحمته سبقت غضبه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول:(إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق، إن رحمتي سبقت غضبي. فهو مكتوب عنده فوق العرش).[١٠]

بل أمر الله رسولهﷺ أن يبشر المؤمنين الذين يقعون في الذنوب ويرغبون في الإنابة أن يقول لهم: سلام عليكم، إن الله كتب على نفسه الرحمة، وإن من رحمته أن الله

يتوب على من تاب قال سبحانه: ﴿وَإِذَا جَاءكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾{ سورة الأنعام،٥٤}. قال ابن جرير رحمه الله بعد أن أورد الأقوال في تفسير هذه الآية:(فتأويل الكلام - إذ كان الأمر على ما وصفنا - وإذا جاءك يا محمد القوم الذين يصدقون بتنزيلنا وأدلتنا وحججنا فيقرون بذلك قولاً وعملاً، مسترشديك عن ذنوبهم التي سلفت منهم بيني وبينهم، هل لهم منها توبة؟ فلا تؤيسهم منها، وقل لهم سلام عليكم أمنة الله لكم من ذنوبكم أن يعاقبكم عليها بعد توبتكم منها، كتب ربكم على نفسه الرحمة، يقول قضى ربكم الرحمة بخلقه أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم).[١١]

الحكم الثاني عشر: الضربات الاستباقية

رأينا في هذا العصر ضربات استباقية موجعة بحجة الخوف من الخصم، وتدميره قبل أن يقوم بالهجوم، بينما هي في حقيقتها تهدف إلى تحقيق أخبار توراتية، وأغراض اقتصادية وهيمنة عسكرية...إلخ فإذا هذه الضربات الاستباقية تشريع سابق وخبر ماض، وما على المتأخر إلا أن يسلك سلوك آبائه وأجداده، ويسير على شرعته ومنهاجه، جاء في إرمياء تخوف بني إسرائيل من بني عمون، وخوفهم أن يرثوا بلادهم في المستقبل؛ فقرروا أن يضربوهم لأجل ذلك: (هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: أَلَيْسَ لإِسْرَائِيلَ بَنُونَ، أَوْ لاَ وَارِثٌ لَهُ؟ لِمَاذَا يَرِثُ مَلِكُهُمْ جَادَ، وَشَعْبُهُ يَسْكُنُ فِي مُدُنِهِ؟ ٢لِذلِكَ هَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأُسْمِعُ فِي رَبَّةِ بَنِي عَمُّونَ جَلَبَةَ حَرْبٍ، وَتَصِيرُ تَلاًّ خَرِبًا، وَتُحْرَقُ بَنَاتُهَا بِالنَّارِ، فَيَرِثُ إِسْرَائِيلُ الَّذِينَ وَرِثُوهُ، يَقُولُ الرَّبُّ).إرمياء ٤٩.

قارن هذا التوجس من المخالف ومباغتته بالتوجيه القرآني للرسول ﷺ وهو توجيه للبشرية من بعده يقول المولى عز شأنه وتعالى سلطانه: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ﴾ {سورة الأنفال،٥٨}. قال إمام المفسرين

ابن جرير رحمه الله في تفسير هذه الآية: (يقول تعالى ذكره وإما تخافن يا محمد من عدو لك بينك وبينه عهد وعقد أن ينكث عهده وينقض عقده ويغدر بك، وذلك هو الخيانة والغدر، فانبذ إليهم على سواء، يقول فناجزهم بالحرب، وأعلمهم قبل حربك إياهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم بما كان منهم من ظهور آثار الغدر والخيانة منهم؛ حتى تصير أنت وهم على سواء في العلم بأنك لهم محارب، فيأخذوا للحرب آلتها وتبرأ من الغدر، إن الله لا يحب الخائنين الغادرين بمن كان منه في أمان وعهد بينه وبينه أن يغدر به فيحاربه قبل إعلامه إياه أنه له حرب وأنه قد فاسخه العقد).(١٢)

الحكم الثالث عشر: التلذذ بمآسي الآخرين والتشفي منهم، إذا طغى الهوى، وحرّف الوحي؛ أصبح أتباعه يتلذذون برؤية الجراح، ويسعدون برؤية الموتى، جاء في سفر إرمياء: (٣٤وَلْوِلُوا أَيُّهَا الرُّعَاةُ وَاصْرُخُوا، وَتَمَرَّغُوا يَا رُؤَسَاءَ الْغَنَمِ، لأَنَّ أَيَّامَكُمْ قَدْ كَمَلَتْ لِلذَّبْحِ. وَأُبَدِّدُكُمْ فَتَسْقُطُونَ كَإِنَاءٍ شَهِيٍّ. ٣٥وَيَبِيدُ الْمَنَاصُ عَنِ الرُّعَاةِ، وَالنَّجَاةُ عَنْ رُؤَسَاءِ الْغَنَمِ).إرمياء ٢٥. فإذا الجثث والقتلى كطبق شهي، فلا إله إلا الذي قلب الفطر، وطمس القلوب.

بينما يسمو الدين الحق بالنفوس فترتقي إلى مراقي الرحمة والطهر والعفاف، فترأف حتى على الحيوان البهيم وتدركها الشفقة فتتحمل التعب من أجله، فيغفر الله لها، كما في هذا الحديث النبوي الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ :(بينما كلب يطيف بركية كاد يقتله العطش إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل فنزعت موقها(١٣) فسقته فغفر لها به).(١٤) وهذا نبي الرحمة ﷺ تتناول رحمته الطير والحيوان فعن عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود عن أبيه رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله ﷺ في سفر ومررنا بشجرة فيها فرخا حمرة (١٥) فأخذناهما قال فجاءت الحمرة إلى رسول الله ﷺ وهي تصيح فقال النبي ﷺ:(من فجع هذه بفرخيها؟ قال فقلنا نحن. قال: فردوهما).(١٦) وكان ﷺ يأمر أصحابه رضي الله عنهم بالرحمة بالحيوان وينكر عليهم إذا رأى تقصيراً منهم في ذلك فقد دخل حائطاً لرجل من الأنصار فإذا جمل، فلما رأى النبيَ ﷺ حنَّ

وذرفت عيناه فأتاه النبي ﷺ فمسح ذفراه فسكت، فقال: من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار فقال لي يا رسول الله! فقال أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؛ فإنه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه).(١٧) فهذا هو الدين الحق، دين الرحمة.

الحكم الرابع عشر: الفرح والإنشاد بهلاك المخالف، جاء في سفر المزامير قوله:(٣٤فَيَلَذُّ لَهُ نَشِيدِي، وَأَنَا أَفْرَحُ بِالرَّبِّ. ٣٥لِتُبَدِ الْخُطَاةُ مِنَ الأَرْضِ وَالأَشْرَارُ لاَ يَكُونُوا بَعْدُ).مزمور ١٠٤. وجاء في سفر أخبار الأيام الثاني عند ذكر خبر مقتلة اليهود لبني عمون وبني موآب أنهم فرحوا لأجل ذلك فرحا شديدا وغنوا بالأبواق والعيدان:(٢٧ثُمَّ ارْتَدَّ كُلُّ رِجَالِ يَهُوذَا وَأُورُشَلِيمَ وَيَهُوشَافَاطُ بِرَأْسِهِمْ لِيَرْجِعُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ بِفَرَحٍ، لأَنَّ الرَّبَّ فَرَّحَهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ. ٢٨وَدَخَلُوا أُورُشَلِيمَ بِالرَّبَابِ وَالْعِيدَانِ وَالأَبْوَاقِ إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ. ٢٩وَكَانَتْ هَيْبَةُ اللهِ عَلَى كُلِّ مَمَالِكِ الأَرَاضِي حِينَ سَمِعُوا أَنَّ الرَّبَّ حَارَبَ أَعْدَاءَ إِسْرَائِيلَ). أخبار الأيام الثاني ٢٠.

وفي سفر المزامير: (١٠يَفْرَحُ الصِّدِّيقُ إِذَا رَأَى النَّقْمَةَ). مزمور٨٥. وفي سفر الأمثال: (وَعِنْدَ هَلاَكِ الأَشْرَارِ هُتَافٌ. ١١بِبَرَكَةِ الْمُسْتَقِيمِينَ تَعْلُو الْمَدِينَةُ، وَبِفَمِ الأَشْرَارِ تُهْدَمُ). أمثال ١١.

قارن هذا الفرح بالموقف الجاهلي موقف كفار قريش حينما خرجوا إلى بدر، فعن ابن عباس قال: لما رأى أبو سفيان أنه أحرز عيره أرسل إلى قريش، أنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا، فقال: أبو جهل ابن هشام والله لا نرجع حتى نرد بدرا، وكان بدر موسما من مواسم العرب، يجتمع لهم بها سوق كل عام - فنقيم عليه ثلاثا، وننحر الجزر، ونطعم الطعام، ونسقي الخمور، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب، فلا يزالون يهابوننا أبدا فامضوا.(١٨) فيجد الباحث أن منطق الجاهلية واحد وتربيتها واحدة، ومشاعرها وتصرفاتها واحدة، فرح وبطر وأشر، وغناء وشرب

ورقص...

وقارن هذا ولا سواء بموقف النبوة وتربية الوحي؛ تجد البون شاسعا والموقف مختلفا؛ إنه موقف الخشوع لله، ومعرفة أيامه وسننه في الأيام والدول، هذا رسول الله ﷺ كما أخبر عنه أنس رضي الله عنه يدخل مكة يوم الفتح خاشعا خاضعا متواضعا، فعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ (دخل مكة وذقنه على رحْله متخشعا).[19]

ولما وقف عمر، وعبدالله بن عباس، وعبدالرحمن بن عوف، رضي الله عنهم على ما غنمه المسلمون من الفرس، فلما رأوه كشطوا الأنطاع عن الأموال، فرأى عمر رضي الله عنه منظرا لم ير مثله، رأى الذهب فيه والياقوت والزبرجد واللؤلؤ يتلألأ، فبكى عمر بن الخطاب، فقال له أحدهما: والله ما هو بيوم بكاء. فقال: إني والله ما ذهبت حيث ذهبت، ولكنه والله ما كثر هذا في قوم قط إلا وقع بأسهم بينهم. ثم أقبل على القبلة، ورفع يديه إلى السماء، وقال:(اللهم إني أعوذ بك أن أكون مستدرجا) فإني أسمعك تقول: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ﴾. [20]

ولله در أبي الدرداء يوم بكى حينما فتح المسلمون قبرص، وذلك حينما رآه جبير بن مطعم جالسا وحده يبكي! فقال: يا أبا الدرداء! ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ قال: ويحك يا جبير! ما أهون الخلق على الله عز وجل إذا تركوا أمره).[21]

المسلم إذا انتصر عرف أن الناصر الحق هو الله، وأن لله سننا ونواميس في هذا الكون لا تتبدل ولا تتغير قال تعالى: ﴿ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ {سورة آل عمران،١٦٠}. فلا يفرح إن انتصر فرحا يبلغ به الطغيان والبغي، ولا يأسى إن غُلب لأنه يعلم أن ذلك كله بقضائه وقدره. هذه تشريعات الحرب في كتابهم المقدس، كيف تبدأ؟ وكيف تنتهي؟ وما الموقف من المخالف بعدها؟ وما موقف المنتصر إثرها؟ وهذه أخبار من التاريخ وسنرى في المبحث التالي إن شاء الله أخبارا من الواقع تؤكد أن التشريع لا يزال مطبقا، والعهد لا

يزال قائما، وهي تشريعات لا تحتمل التعليق فالخَبَر يغني عن الخبر.

وهذه تشريعات الوحي بشأن هذا الأمر الذي لا بد منه ما دام الصراع قائما بين الخير والشر، ومن ذلك:

أولا: أن تشريع الحرب في الإسلام إنما هو لإحقاق الحق الإلهي وليست لتحقيق سيادة عنصر على آخر أو شعب على غيره، بل ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِله فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾{ سورة البقرة،٣٩}.

ثانيا: أنها تمنع الفتنة وتقضي عليها كما في الآية السابقة.

ثالثا: أنها شرعت ليكون الدين لله وتكون الدينونة والطاعة له سبحانه وتعالى، فليست ليكون الحق لقيصر، وإنما ليكون العباد كلهم عبادا لله وليسوا عبادا للعباد، كما كتب النبي ﷺ إلى أسقف نجران:(من محمد النبي رسول الله إلى أسقف نجران؛ أما بعد فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم آذنتكم بحرب، والسلام).[٢٢] فهي مشروعة ليخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده لا شريك له.

رابعا: أنها شرعت لتعم البشرية الرحمة، وتتفيأ ظلال الإيمان قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ {سورة الأنبياء،١٠٧}؛ فكل الرسل عليهم الصلاة والسلام جاءوا رحمةً للخلق، وإنقاذا للخلق من سطوة الخلق، قال سبحانه وتعالى عن نبينا محمد ﷺ:﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلاَ اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يِوحَى إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَـذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ {الأعراف،٢٠٣}. وقال عن موسى عليه السلام: ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِيَ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاء رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ {الأعراف،١٥٤}. وقال عن صالح عليه السلام: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةً مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ {هود٦٣}. وقال عن المسيح عليه السلام:﴿قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ

هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ {سورة مريم،٢١}.

خامسا: أنها يجب أن تتدثر بالعدل وتحتكم إليه، مهما جار المخالف أو بغى، فكما أن الظلم محرم قطعا، فالعدل واجب شرعا، قال تعالى: ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾{ سورة المائدة،٢}. فالعدو هنا كافر، وقد صدّ النبي ﷺ ومن معه عن المسجد الحرام لئلا يطوفوا به ويعبدوا ربهم فيه، ومع ذلك جاء التوجيه الإلهي بالأمر بالعدل، والتنبيه لئلا يدفع البغض إلى طلب الانتقام ومجاوزة العدل.

سادسا: أنها تحترم الإنسانية المسالمة فلا يُقتل من لم يقاتل من مدنيين أو عباد أو أطفال أو شيوخ أو نساء، ولا يمثل بالجثث، ولا يجهز على جريح، ولا يقتل أسير فعن سليمان بن بريدة عن أبيه قال كان رسول الله ﷺ إذا أمّر أميرا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا، ثم قال اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا، ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم: ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم). [٢٣]

سابعا: أنها مسبوقة بدعوة إلى الإسلام، فإن لم يقبلوا دعوا إلى الجزية، فإن لم يقبلوا دعوا إلى الحرب علانية وليست مخادعة ولا مباغتة. فالهدف منها كما سبق تعبيد الخلق للخالق.

ثامنا: أنها ليست انتصارا لذات شخص مهما سمت مكانته، وعظمت منزلته، وليتأمل القارئ هذا التوجيه القرآني للرسول الكريم ﷺ بعد معركة أحد وقد أصيب فيها بجروح، وقتل فيها عمه وسبعون من خيرة أصحابه، ففي الصحيح عن ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ كسرت رباعيته يوم أحد، وشج في رأسه فجعل يسلت الدم عنه ويقول كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله فأنزل الله عز وجل: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ {سورة آل عمران،١٢٨}.[٢٤] بل هي انتصار للحق الذي جاء به وأمر أن يبلغه، وتلا هذه الآية: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ {سورة آل عمران١٢٩}. فتضمنت إثبات الملك التام له سبحانه، وأنه هو الغفور، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، فورد فيها ذكر المغفرة مرتين، فالحمد لله على شرعه وأمره.

تاسعا: أنها لا تستهدف جمع المال من المخالف والاستيلاء على خيرات بلاده، ونقلها إلى بلاد المقاتل فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذا رضي الله عنه إلى اليمن قال: إنك تقدم على قوم أهل كتاب؛ فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا الله، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا، فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة من أموالهم وترد على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس).[٢٥] فهي تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم، ولا يقصد منها أن يكون المال دولة في يد المقاتل أو في يد من أرسله، وحينما فتح المسلمون العالم الإسلامي سابقا عم الخير أرجاء المعمورة، وفتحت في أرجائها المدارس والمستشفيات وغيرها من مظاهر عمارة الأرض، وحينما احتل الغرب النصراني العالم الإسلامي في القرن الماضي وأقام في بعض بلاده قرابة مئة سنة؛ خرج منها وهي

تعاني صور التخلف كأشد ما يكون التخلف.

عاشرا: أنها لم تكن لتحقيق سيادة قبيلة على أخرى، ولم تكن لتستأصل أمة لذات عرقها، ولم تشرع ليقاتل قومٌ من أجل إرغامهم على قبول الإسلام؛ فلا إكراه في الدين، بل تشرع إذا وقفوا في وجه انتشاره والحيلولة بين البشر وبين الخضوع لرب العالمين.

فالله سبحانه وتعالى أرسل الرسل ليخضع البشر لله رب العالمين، ووقف الطواغيت من البشر في وجه المرسلين، ليستديموا إخضاع البشر لسلطانهم.

حادي عشر: أنها تنتهي إلى غاية سامية، وهي إعلان الوحدانية، وتستهدف القضاء على فتنة عارمة، وهي الشرك والكفر، فإذا تحققت الغاية، وانتفت الحاجة فإن الله بعباده خبير بصير: ﴿وَقَاتِلُوهُم حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ {سورة البقرة،٣٩}.

ثاني عشر: أن تشريع الحرب في الإسلام تشريع إلهي جاء لحكم عظيمة تجل عن الحصر، بينما تشريعات الحرب في كتابهم المقدس تشريع بشري يراعي مصالح القوم الذين شرعوه.

وبعد أن انتهى البحث من عرض التشريع لإبادة المخالف وإقصائه وقتله وحرقه ونهب مدنه وسلب أمواله وسبي نسائه وما يتعلق بذلك فقد يظن القارئ أن هذا تشريع عفا عليه الزمن، أو أنه تشريع لم يأخذ نصيبه من التطبيق، وما شابه ذلك مما يمكن أن تدفع به هذه النصوص؛ لذا كان لزاما أن يتجه البحث وجهة ترصد التطبيق الفعلي لهذه الشرائع، وتخبرنا عن خبرهم مع المخالفين في السابق وفي الحاضر المشاهد وهو ما سيتناوله البحث في المبحث التالي.

* * *

المبحث الثاني: التطبيق الفعلي لأحكام الحرب

مضى البحث في المبحث السابق يتناول التشريع، وفي هذا المبحث يجد القارئ التطبيقَ الفعلي لهذه التشريعات، وهي وإن كانت صورا تشمئز منها النفوس وتتصدع منها الأكباد، إلا أن المنهجية العلمية تفرض على الباحث أن يورد الشواهد مهما كانت فظاعتها، ويقص الخبر وإن كان موجعا، ويستنطق الأحداث؛ لأنها لا تحابي، ويستشهد بالتاريخ؛ لأنه لا يعرف المداهـــنة، وهذا أوان ذكر ما سبق الوعد به.

المطلب الأول: إبادة الخصوم

يجد القارئ في ثنايا كتابهم المقدس نصوصا كثيرة تخبرعن الإبادة وتبين صورها وتعم أنواع الجنس البشري لئلا تغادر صغيرا ولا كبيرا، ولا ترحم مسكينا أو ترأف على صغير، أو تشفق على امرأة مرضع أو حامل، وتطمح في أن تستأصل الطير في السماء والسمك في الماء، وفي النصوص الآتية ما يبين ذلك، فقد جاء في سفر يشوع أن الله أمر موسى أن يأخذ الجميع بالحرب ولا يرأف عليهم ويبيدهم إبادة تامة فيقول السفر:(لَمْ تَكُنْ مَدِينَةٌ صَالَحَتْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ الْحِوِّيِّينَ سُكَّانَ جِبْعُونَ، بَلْ أَخَذُوا الْجَمِيعَ بِالْحَرْبِ.٢٠ أَنَّهُ كَانَ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ أَنْ يُشَدِّدَ قُلُوبَهُمْ حَتَّى يُلاَقُوا إِسْرَائِيلَ لِلْمُحَارَبَةِ فَيُحَرِّمُوا، فَلاَ تَكُونُ عَلَيْهِمْ رَأْفَةٌ، بَلْ يُبَادُونَ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى.) يشوع ١١. ولا شك أن هذا من الافتراء على الله، وكما سيأتي معنا بعد قليل صور من الافتراء على الله.

وفي سفر صفنيا ورد الخبر التالي المتضمن أن الله سينزع الكل عن وجه الأرض وسيهلك الإنسان والحيوان والطير في جو السماء والسمك في الماء فيقول:(٢نَزْعًا أَنْزَعُ الْكُلَّ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ، يَقُولُ الرَّبُّ.٣ أَنْزِعُ الإِنْسَانَ وَالْحَيَوَانَ. أَنْزِعُ طُيُورَ السَّمَاءِ وَسَمَكَ الْبَحْرِ، وَالْمَعَاثِرَ مَعَ الأَشْرَارِ، وَأَقْطَعُ الإِنْسَانَ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ، يَقُولُ الرَّبُّ).صفنيا١، فهذا وعيد لم يتحقق، وهو وعيد غير واقع عقلا، ولا جائز شرعا، ولكن الذين كفروا على ربهم يفترون؛ لأن الله يقول في محكـم تنزيله:﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى

ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾{سورة سبأ٤٥}.

وتتكرر صور الإبادة، وهي إبادة مرعبة لا تبقي أصلا ولا فرعا؛ ففي سفر زكريا ورد النص التالي: (الْمُسْتَكْبِرِينَ وَكُلُّ فَاعِلِي الشَّرِّ يَكُونُونَ قَشًّا، وَيُحْرِقُهُمُ الْيَوْمُ الآتِي، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ، فَلاَ يُبْقِي لَهُمْ أَصْلاً وَلاَ فَرْعًا).زكريا ٤. فهذا وعد بفناء مستقبلي للمخالف، وتهيئة نفسية لهم لإزهاق الأرواح، والاستهانة بالبشر والتذكير بأن هذه شريعة نبي فلا يتحرج الفاعل لاعتقاده أنه ينفذ أمر ربه، وهذا من الافتراء على أنبياء الله ورسله.

ومن تمام المكر تُضمن النصوص التوقيت المناسب لإبادة الخصوم وذلك عند تمام النعمة عليهم واستكمالهم متاعهم فحينئذ يكون هذا هو الوقت المناسب للإبادة، فقد تضمن المزمور ٩٢ هذا التوقيت وهو قوله:(٧إِذَا زَهَا الأَشْرَارُ كَالْعُشْبِ، وَأَزْهَرَ كُلُّ فَاعِلِي الإِثْمِ، فَلِكَيْ يُبَادُوا إِلَى الدَّهْرِ. ٨أَمَّا أَنْتَ يَا رَبُّ فَمُتَعَالٍ إِلَى الأَبَدِ. ٩لأَنَّهُ هُوَذَا أَعْدَاؤُكَ يَا رَبُّ، لأَنَّهُ هُوَذَا أَعْدَاؤُكَ يَبِيدُونَ. يَتَبَدَّدُ كُلُّ فَاعِلِي الإِثْمِ). مز ٩٢ إنها إبادة شاملة، وقضاء لا يرحم، فمن لا يخطئ ومن لا يأثم، ولكن النفوس الممتلئة حقدا ترسم ذلك. وفي مزمور ١٠٤ الرجاء التالي المتضمن زوال الخطاة من الأرض، وألا يكون لهم أثر. وهو قوله (٣٤فَيَلَذُّ لَهُ نَشِيدِي، وَأَنَا أَفْرَحُ بِالرَّبِّ. ٣٥لِتُبَدِ الْخُطَاةُ مِنَ الأَرْضِ وَالأَشْرَارُ لاَ يَكُونُوا بَعْدُ). مزمور ١٠٤.

وفي سفر الأمثال: (أَمَّا سِنُو الأَشْرَارِ فَتُقْصَرُ. ٢٨مُنْتَظَرُ الصِّدِّيقِينَ مُفَرِّحٌ، أَمَّا رَجَاءُ الأَشْرَارِ فَيَبِيدُ. ٢٩حِصْنٌ لِلاسْتِقَامَةِ طَرِيقُ الرَّبِّ، وَالْهَلاَكُ لِفَاعِلِي الإِثْمِ. ٣٠اَلصِّدِّيقُ لَنْ يُزَحْزَحَ أَبَدًا، وَالأَشْرَارُ لَنْ يَسْكُنُوا الأَرْضَ). أمثال ١٠.

وفي المزمور أيضا: (١قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: «اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ». ٢يُرْسِلُ الرَّبُّ قَضِيبَ عِزِّكَ مِنْ صِهْيَوْنَ. تَسَلَّطْ فِي وَسَطِ أَعْدَائِكَ. ٣شَعْبُكَ مُنْتَدَبٌ فِي يَوْمِ قُوَّتِكَ، فِي زِينَةٍ مُقَدَّسَةٍ مِنْ رَحِمِ الْفَجْرِ، لَكَ طَلُّ حَدَاثَتِكَ. ٤أَقْسَمَ الرَّبُّ وَلَنْ

يَنْدَمَ: «أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى الأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادَقَ». [٥]الرَّبُّ عَنْ يَمِينِكَ يُحَطِّمُ فِي يَوْمِ رِجْزِهِ مُلُوكًا. [٦]يَدِينُ بَيْنَ الأُمَمِ. مَلأَ جُثَثًا أَرْضًا وَاسِعَةً. سَحَقَ رُؤُوسَهَا. [٧]مِنَ النَّهْرِ يَشْرَبُ فِي الطَّرِيقِ، لِذلِكَ يَرْفَعُ الرَّأْسَ). مزمور ١١٠.

يا الله! يعجز القلم عن الاستمرار في نقل نصوص تشع حقدا، وتمتلئ غيظا، وتثمر غلا يُستأصل الأخضر واليابس والساكن والمتحرك، وما ذاك إلا لأنها كلها مصطلحات خاصة بإهلاك المخالف وإبادته وقِصَر عمره، وأنه لن يسكن الأرض، وأن هذا الرجز والعذاب سيصيب الأمم والملوك ويملأ الأرض جثثا، ويسحق رؤوسا.

والباحث وقد تناول هذا الباب فهو ملزم بمنهج بحث يوجب عليه أن يورد من النصوص ما تقوم به الحجة ويستقيم به الدليل؛ لذا بقي في جعبة الباحث من النصوص ما يعتذر إلى القارئ من إيراده ولو كان ثقيلا على السمع، ولكن كما بينا في صدر هذا البحث أن هذه النصوص دين تتدين به أمم، ويسير على هديها رؤساء دول، وتُتَّبَع في الحروب ويهتدى بها.

جاء في إشعياء (فِي سَخَطِ رَبِّ الْجُنُودِ وَفِي يَوْمِ حُمُوِّ غَضَبِهِ. ١٤وَيَكُونُونَ كَظَبْيٍ طَرِيدٍ، وَكَغَنَمٍ بِلاَ مَنْ يَجْمَعُهَا. يَلْتَفِتُونَ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى شَعْبِهِ، وَيَهْرُبُونَ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى أَرْضِهِ. ١٥كُلُّ مَنْ وُجِدَ يُطْعَنُ، وَكُلُّ مَنِ انْحَاشَ يَسْقُطُ بِالسَّيْفِ. ١٦وَتُحَطَّمُ أَطْفَالُهُمْ أَمَامَ عُيُونِهِمْ، وَتُنْهَبُ بُيُوتُهُمْ وَتُفْضَحُ نِسَاؤُهُمْ). إشعياء ١٣. حقا إنها مسيرة دماء، مسيرة لا ترحم طفلا، ولا ترعى حرمة امرأة ضعيفة.

هذا خبر أسلافهم يروونه ديانة متبعة، ووثيقة معتبرة، يمنحونه القداسة، ويدعون له العصمة، وهو شاهد عليهم بما جنت أيديهم، وهذا خبر عن خلفهم تحفل به كتبهم وتاريخهم، فيخبرنا المطران برتلومي دي لاس كازاس عن إبادة الإسبان الكاثوليك للهنود الحمر في قارة أمريكا يقول: (لقد غشي الإسبان هذه الخراف الوديعة غشيان الذئاب والنمور والأسود الوحشية التي لم تجد طعاما أياما وأياما، ومنذ أربعين سنة وهم يقطعون

أوصالها ويقتلونها ويروّعونها، كل يوم فظاعة جديدة وغريبة مختلفة لم نسمع ولم نقرأ عن مثلها من قبل، ولسوف أتحدث عنها لاحقا، كانت هذه الفظائع شديدة لم تبق في الجزيرة الإسبانية اليوم سوى مئتي هندي من أصل ثلاثة ملايين... ثم قال في موطن آخر وجاب مركب إسباني وطاف على هذه الجزر ثلاثة أيام بحثا عمن لعله نجا من أهلها بعد (الحصاد) فلم يعثر على أحد غير أحد عشر ناجيا، وهناك أكثر من ثلاثين جزيرة مجاورة لـ(سان خوان) كلها أقفرت وأفني أهلها... أما على اليابسة فأنا على يقين من أن رجالنا الإسبان قد اجتاحوا ونهبوا أراضي كانت عامرة بأهلها الطيبين فصارت اليوم صحراء، لقد نهبوا أكثر من عشر ممالك أكبر من كل إسبانيا وأرغون والبرتغال مجتمعة وطوال هذه السنوات الأربعين أبيد أكثر من اثني عشر مليونا من الرجال والنساء والأطفال ظلما وعدوانا من جراء طغيان المسيحيين وأعمالهم الهمجية. هذا رقم مؤكد على الرغم من أنني أعتقد مطمئنا إلى اعتقادي أن عدد الضحايا يتجاوز خمسة عشر مليونا، وفي صفحة أخرى يذكر أنهم قتلوا أربعة ملايين، وفي مكان آخر من هذه الوثيقة يذكر أنهم قتلوا في مكان آخر من قارة أمريكا أحد عشر مليونا، كما يذكر أنهم أبادوا خمسة عشر مليونا). [٢٦]

ومع كل ذلك فهو يعتذر للقارئ بأنه يختصر ولم يذكر كل ما رأى حيث يقول:(وإنني أسكت عن الكثير، ولا أذكر إلا اليسير مما جرى بين ١٥١٨-١٥٤٢م أي الوقت الذي أكتب فيها مذكراتي هذه، ويقول في صفحة أخرى: ولن يصدق أحد كل ما جرى من وحشية وجور في "يوكتان" وإنني لا أذكر إلا النزر اليسير من الحوادث)[٢٧]؛ ولأنه يعلم أن هذه الفظائع يتعذر تصديقها فهو يقسم على ألا يقول إلا الحق، فيقول:(والواقع أن تفسير بعض هذه الأعمال الوحشية مستحيل مهما بذلتُ له من جهد وصرفتُ له من وقت، لكنني سوف أتحدث عن ذلك في المقاطع اللاحقة مقسما أنني لا أذكر إلا معشار معشار معشار ما جرى). [٢٨]

وأورد الباحث منير العكش في كتابه (حق التضحية بالآخر، أمريكا والإبادة الجماعية) بعض الوثائق التي تثبت أن عدد الهنود الحمر حين غزا جماعات الأنجلو

ساكسون الأوروبيون بلادهم كان عددهم ١١٢مليونا، لم يبق منهم حسب إحصائيات أول القرن العشرين سوى ربع مليون.[٢٩]

ويصف الابن غير الشرعي لأفنسو دلبو كيرك الأعمال الوحشية لأبيه في سواحل الخليج وبلاد الهند ويذكر أنه قتل أكثر من ستة آلاف مسلم في أيام قليلة، وفي صفحة أخرى من هذا الكتاب يذكر أنه قتل أكثر من ألفي مسلم كما قتل خلقا كثيرا من أهل المدينة مدينة (جوا)، كما يذكر في موطن آخر عن مملكة ملقى ودخلت قواتنا البرتغالية المدينة فسلبتها ونهبتها وقتلت من أهلها خلقا كثيرا.[٣٠]

ولا يحق للباحث الذي يستشهد بحوادث من تاريخ مذابحهم مع خصومهم أن يترك فظائع الحربين العالميتين وهما حربان قادهما النصارى، وخاضهما النصارى، وفتك فيهما النصارى بخصومهم، فأذكر شاهدا من واقعة واحدة من كل حرب، وهذا كاف ليذكّر القارئ بأهوال تلك الحرب، ففي الحرب العالمية الأولى كانت خسائر المسلمين في العراق: ١٨٥٠٠٠ قتيل، و٢٥٥٠٠ أسير،[٣١] هذا في دولة واحدة فما خسائرهم فيها مجتمعة، أما شاهد الحرب العالمية الثانية فأوضحه فعل قوات الحلفاء باليابانيين عندما ألقيت القنبلتان النوويتان على مدينتين من مدن اليابان، وإذا أردت أن تعرف حجم الإبادة التي تعرضت لها مدينة هيروشيما حينما ألقيت عليها القنبلة فانظر في البرقية التي أرسلها ذلك الشقي الكولونيل بول تيبتس جيروم - بعدما رأى التدمير الهائل الذي حدث بعد إلقائها حيث يقول في برقيته :(رأيت المدينة ودمرتها)، أما عدد الذين قتلوا في هذه الحرب فهو ١٧مليونا من الجنود، و١٨مليونا من المدنيين.[٣٢]

ومن أخبار الدم والإبادة والإقصاء والتطهير وعدم الرحمة للصغير والضعيف والحيوان والطير... أستأذن القارئ في أن آخذه في رحلة عبر الزمن فقد فتح المسلمون ثلاثة أرباع المعمورة آنذاك من مكة إلى حدود الصين شرقا ومن مكة إلى سواحل المغرب العربي غربا، ونشروا فيها كلمة الله، وبشروا فيه بالإسلام، وفتحوا البلاد، وحكموا

العباد... فما أبيدت تلك الشعوب، ولا انتهكت تلك الحرمات؛ بل أبناء هذه الشعوب هم الذين حملوا الرسالة فيما بعد، فمن كان يسكن الشام ومن كان يسكن مصر وما جاورها إلا النصارى ومع ذلك فكان أبناء هذه الديار من حملة الإسلام بل من خير حملته عبر التاريخ.

المطلب الثاني: السحق

تتعدد صور القضاء على المخالف في كتابهم المقدس، فمن مصطلح الإبادة إلى مصطلح السحق، ويجد القارئ بعدها أنه أمام مصطلحات أكثر دموية وتعسفا وبغيا، فسيمر بنا بعد قليل القتل والحرق وإفناء الأرض كلها بسيف الطغيان والظلم... فليوطن القارئ نفسه على هذا الإيغال في هذه المصطلحات المصبوغة بالدم، الممزوجة بالهلاك، المشبعة بالفناء، التي تنبعث منها روائح حرق البشر وشيهم وأكلهم، وفي النص التالي يسوق لنا إرمياء السحق الذي واجهته شعوب ماضية وأُهلكت عن بكرة أبيها بسبب ما فعلوه في صهيون؛ حيث يقول موضحا سبب السحق :(عَلَى كُلِّ شَرِّهِمِ الَّذِي فَعَلُوهُ فِي صِهْيَوْنَ، أَمَامَ عُيُونِكُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ) وهذا السحق لم يرحم صغيرا ولا كبيرا، ولم يبق حيوانا ولا زرعا، ولم يوقر ملكا ولم يرأف بفقير، وأترك القارئ مع النص ففيه أعظم دلالة على هذا البغي:(١٩لَيْسَ كَهذِهِ نَصِيبُ يَعْقُوبَ، لأَنَّهُ مُصَوِّرُ الْجَمِيعِ، وَقَضِيبُ مِيرَاثِهِ، رَبُّ الْجُنُودِ اسْمُهُ. ٢٠أَنْتَ لِي فَأْسٌ وَأَدَوَاتُ حَرْبٍ، فَأَسْحَقُ بِكَ الأُمَمَ، وَأُهْلِكُ بِكَ الْمَمَالِكَ، ٢١وَأُكَسِّرُ بِكَ الْفَرَسَ وَرَاكِبَهُ، وَأَسْحَقُ بِكَ الْمَرْكَبَةَ وَرَاكِبَهَا، ٢٢وَأَسْحَقُ بِكَ الرَّجُلَ وَالْمَرْأَةَ، وَأَسْحَقُ بِكَ الشَّيْخَ وَالْفَتَى، وَأَسْحَقُ بِكَ الْغُلاَمَ وَالْعَذْرَاءَ، ٢٣وَأَسْحَقُ بِكَ الرَّاعِيَ وَقَطِيعَهُ، وَأَسْحَقُ بِكَ الْفَلاَّحَ وَفَدَّانَهُ، وَأَسْحَقُ بِكَ الْوُلاَةَ وَالْحُكَّامَ. ٢٤وَأُكَافِئُ بَابِلَ وَكُلَّ سُكَّانِ أَرْضِ الْكَلْدَانِيِّينَ عَلَى كُلِّ شَرِّهِمِ الَّذِي فَعَلُوهُ فِي صِهْيَوْنَ، أَمَامَ عُيُونِكُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ. ٢٥هأَنَذَا عَلَيْكَ أَيُّهَا الْجَبَلُ الْمُهْلِكُ، يَقُولُ الرَّبُّ، الْمُهْلِكُ كُلَّ الأَرْضِ، فَأَمُدُّ يَدِي عَلَيْكَ وَأُدَحْرِجُكَ عَنِ الصُّخُورِ، وَأَجْعَلُكَ جَبَلاً مُحْرَقًا، [٢٦]فَلاَ يَأْخُذُونَ مِنْكَ حَجَرًا لِزَاوِيَةٍ، وَلاَ حَجَرًا لأُسُسٍ، بَلْ تَكُونُ خَرَابًا إِلَى الأَبَدِ، يَقُولُ الرَّبُّ. [٢٧]«اِرْفَعُوا الرَّايَةَ فِي الأَرْضِ.

اضْرِبُوا بِالْبُوقِ فِي الشُّعُوبِ. قَدِّسُوا عَلَيْهَا الأُمَمَ. نَادُوا عَلَيْهَا مَمَالِكَ أَرَارَاطَ وَمِنِّي وَأَشْكَنَازَ. أَقِيمُوا عَلَيْهَا قَائِدًا. أَصْعِدُوا الْخَيْلَ كَغَوْغَاءَ مُقْشَعِرَّةٍ. [٢٨]قَدِّسُوا عَلَيْهَا الشُّعُوبَ، مُلُوكَ مَادِي، وُلاَتَهَا وَكُلَّ حُكَّامِهَا وَكُلَّ أَرْضِ سُلْطَانِهَا، [٢٩]فَتَرْتَجِفَ الأَرْضُ وَتَتَوَجَّعَ، لأَنَّ أَفْكَارَ الرَّبِّ تَقُومُ عَلَى بَابِلَ، لِيَجْعَلَ أَرْضَ بَابِلَ خَرَابًا بِلاَ سَاكِنٍ. [٣٠]كَفَّ جَبَابِرَةُ بَابِلَ عَنِ الْحَرْبِ، وَجَلَسُوا فِي الْحُصُونِ. نَضَبَتْ شَجَاعَتُهُمْ. صَارُوا نِسَاءً. حَرَقُوا مَسَاكِنَهَا. تَحَطَّمَتْ عَوَارِضُهَا. [٣١]يَرْكُضُ عَدَّاءٌ لِلِقَاءِ عَدَّاءٍ، وَمُخْبِرٌ لِلِقَاءِ مُخْبِرٍ، لِيُخْبِرَ مَلِكَ بَابِلَ بِأَنَّ مَدِينَتَهُ قَدْ أُخِذَتْ عَنْ أَقْصَى، [٣٢]وَأَنَّ الْمَعَابِرَ قَدْ أُمْسِكَتْ، وَالْقَصَبَ أَحْرَقُوهُ بِالنَّارِ، وَرِجَالُ الْحَرْبِ اضْطَرَبَتْ. [٣٣]لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ إِلهُ إِسْرَائِيلَ: إِنَّ بِنْتَ بَابِلَ كَبَيْدَرٍ وَقْتَ دَوْسِهِ. بَعْدَ قَلِيل يَأْتِي عَلَيْهَا وَقْتُ الْحَصَادِ». إرمياء ٥١.

في هذا النص وردت كلمة (السحق) تسع مرات ففيها سحق للأمم، وسحق للممالك، وسحق للمراكب، وسحق للرجل والمرأة، وسحق للشيخ والفتى، وسحق للغلام والعذراء، وسحق للراعي وقطيعه، وسحق للفلاح وأرضه، وسحق للولاة والحكام. فما الذي بقي على وجه الأرض لم ينله السحق والمحق؟! هذه مضامين نصوص دين الحب كما يزعمون، فلينتظر الناس الحصاد والدوس بعده كما قال إرمياء في آخر هذه البشارة؟!.

تسمو النفوس الطيبة لرحمة الخلق، وتتطلع إلى إنقاذ المحتاج، وهنا يصور لنا كتابهم المقدس تطلعا ولكنه من نوع آخر؛ إنه تطلع إلى إفناء المخالف وسحقه فلا يقوم أبدا، سحق للمخالف كما يُسحق الغبار في الطرقات، فقد تضمن سفر صموئيل الثاني هذه الأماني حيث يقول:([٣٨]أَلْحَقُ أَعْدَائِي فَأُهْلِكُهُمْ، وَلاَ أَرْجعُ حَتَّى أُفْنِيَهُمْ. [٣٩]أُفْنِيهِمْ وَأَسْحَقُهُمْ فَلاَ يَقُومُونَ، بَلْ يَسْقُطُونَ تَحْتَ رِجْلَيَّ. [٤٠]«تُنَطِّقُنِي قُوَّةً لِلْقِتَالِ، وَتَصْرَعُ الْقَائِمِينَ عَلَيَّ تَحْتِي. [٤١]وَتُعْطِينِي أَقْفِيَةَ أَعْدَائِي وَمُبْغِضِيَّ فَأُفْنِيهِمْ. [٤٢]يَتَطَلَّعُونَ فَلَيْسَ مُخَلِّصٌ، إِلَى الرَّبِّ فَلاَ يَسْتَجِيبُهُمْ. [٤٣]فَأَسْحَقُهُمْ كَغُبَارِ الأَرْضِ. مِثْلَ طِينِ الأَسْوَاقِ أَدُقُّهُمْ وَأَدُوسُهُمْ). صموئيل٢/٢٢. وهذا النص وارد أيضا في سفر المزامير مزمور ١٨.

ولا يظن القارئ أن هذا السحق والفناء عقيدة عفا عليها الزمن، ونسيها التاريخ، بل هي عقيدة فاعلة مؤثرة في السياسة المعاصرة ومستعملة في لغة التخاطب بين بعض النصارى الذين يدينون بهذه العقيدة وبين المخالفين لهم، والخبر الآتي شاهد على ذلك: رفعت مواطنة أمريكية مسلمة دعوى قضائية أمام إحدى المحاكم الفيدرالية الأمريكية أكدت فيها أن حريتها الدينية تم انتهاكها على يد أحد المحققين عندما تم التحقيق معها في قضية تتعلق بركوبها المترو بتذكرة غير صالحة للاستخدام في ولاية لوس أنجلوس الأمريكية.

وأكدت المواطنة الأمريكية التي تدعى جميلة أن المحقق أجبرها على نزع غطاء الرأس الذي كانت ترتديه واتهمها بأنها إرهابية واصفاً الإسلام بأنه "دين شرير". وأضاف محامي جميلة قائلاً "لقد تمادى المحقق في اعتدائه، حيث اتهمها بدعم الإرهابيين، وبأن المسلمين أشرار، وأن الولايات المتحدة الأمريكية ذهبت إلى العراق بناءً على توجيهات الرب حتى تسحق الشر."[٣٣] وأعلم أن هذا تصرف شخصي لا يصرح به قانون الدولة، ولكنه نابع من عقيدة راسخة أنتجت هذا التصرف والانفعال المقيت، والعقيدة وإن كانت غير معتبرة عندهم بشكل معلن؛ فهي مؤثر فاعل في تصرفاتهم.

وقد لاحظ القارئ استخدام المحقق لكلمة (تسحق) ووصف الإسلام بأنه (شرير)، ووصف المسلمين أنهم (أشرار)، وكم من مرة تَرددتْ في هذا البحث هذه المفردات، وهذا شاهد على تأثير هذه العقيدة في مجريات الحياة؛ لذا لا غرو أنْ تعامل مع المسلمين وفق ما يكنه قلبه، وما تمليه عليه عقيدته.

المطلب الثالث: الإحراق وسياسة الأرض المحروقة

بين النار والإفساد سبب وثيق، وبين الشيطان وبين أتباعه اقتداء دقيق؛ فالشيطان خلق من النار، وإلى النار يصير، وأتباعه على أثره يفسدون في الأرض ولا يصلحون، ومما ضمّنوه في شرائعهم التي يفترون أن يعاقَب الخصم بالنار حرقا لجسده ولممتلكاته

وإحراقا لمدنه، وتحريقا لمزارعه وأشجاره، وسبق في المبحث الأول ذكر تشريع التحريق بالنار، وبين أيدينا نصوص تروي كيف أحرقت المدن والشعوب، فمن ذلك :

أولا : حرق البشر

توعد حزقيال بأن الرب سيبعث نارا لا تطفأ تأكل كل الوجوه فقال: (٤٥وَكَانَ إِلَيَّ كَلاَمُ الرَّبِّ قَائِلاً: ٤٦«يَا ابْنَ آدَمَ، اجْعَلْ وَجْهَكَ نَحْوَ التَّيْمَنِ، وَتَكَلَّمْ نَحْوَ الْجَنُوبِ، وَتَنَبَّأْ عَلَى وَعْرِ الْحَقْلِ فِي الْجَنُوبِ، ٤٧وَقُلْ لِوَعْرِ الْجَنُوبِ: اسْمَعْ كَلاَمَ الرَّبِّ. هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هأَنَذَا أُضْرِمُ فِيكَ نَارًا... لاَ يُطْفَأُ لَهِيبُهَا الْمُلْتَهِبُ، وَتُحْرَقُ بِهَا كُلُّ الْوُجُوهِ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشِّمَالِ. ٤٨فَيَرَى كُلُّ بَشَرٍ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ أَضْرَمْتُهَا. لاَ تُطْفَأُ»). حزقيال ٢٠.

وهذا شاهد آخر على الوعيد بالتحريق :(الْمُسْتَكْبِرِينَ وَكُلُّ فَاعِلِي الشَّرِّ يَكُونُونَ قَشًّا، وَيُحْرِقُهُمُ الْيَوْمُ الآتِي، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ، فَلاَ يُبْقِي لَهُمْ أَصْلاً وَلاَ فَرْعًا). زكريا.٤

وفي المزامير: (٨تُصِيبُ يَدُكَ جَمِيعَ أَعْدَائِكَ. يَمِينُكَ تُصِيبُ كُلَّ مُبْغِضِيكَ. ٩تَجْعَلُهُمْ مِثْلَ تَنُّورِ نَارٍ فِي زَمَانِ حُضُورِكَ. الرَّبُّ بِسَخَطِهِ يَبْتَلِعُهُمْ وَتَأْكُلُهُمُ النَّارُ. ١٠تُبِيدُ ثَمَرَهُمْ مِنَ الأَرْضِ وَذُرِّيَّتَهُمْ مِنْ بَيْنِ بَنِي آدَمَ). مزمور ٢١.

حتى المستضعفات في كل أمة التي شبههن الرسول ﷺ بالقوارير ينالهن نصيبهن من التحريق، جاء في سفر إرمياء الأمر بتحريق بنات قوم بني عمون:(لِذلِكَ هَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأُسْمِعُ فِي رَبَّةِ بَنِي عَمُّونَ جَلَبَةَ حَرْبٍ، وَتَصِيرُ تَلاً خَرِبًا، وَتُحْرَقُ بَنَاتُهَا بِالنَّارِ، فَيَرِثُ إِسْرَائِيلُ الَّذِينَ وَرِثُوهُ، يَقُولُ الرَّبُّ. ٣وَلْوِلِي يَا حَشْبُونُ لأَنَّ عَايَ قَدْ خَرِبَتْ. اُصْرُخْنَ يَا بَنَاتِ رَبَّةَ). إرمياء ٤٩. فاصرخن يا بنات ربّة فها هنا قوم يتعبدون بحرق البشر!. وقد يقول قائل هذا أمر قد مضى، وهم الآن لا يلتزمونها! وفي إيراد الشواهد الآتية بصيرة للقارئ ليحكم بنفسه وها هي ذي:

الشاهد الأول: ما ذكره المطران برتولومي دي لاس كازاس في الوثائق التي دونها عن إبادة الإسبان الكاثوليك لهنود القارة الأمريكية في بداية القرن السادس عشر

الميلادي حيث يقول: (ومع طلوع الفجر كان الإسبان يدخلون على هؤلاء المساكين الأبرياء النيام فيحرقون منازلهم المصنوعة من القش، ويحرقون النساء والأطفال وهم أحياء، كما يحرقون الرجال قبل أن يستيقظوا... إلى أن يقول مخبرا عن مأساة أخرى: وكان القبطان لا يقدم لرجاله الطعام، ولكنه سمح لهم بأن يأكلوا الهنود الذين معهم أو الذين يلتقطونهم أثناء الغارات على المدن والقرى، هكذا صار معسكره أشبه بمسلخ يتراكم فيه لحم البشر، كان الرجال يقتلون الأطفال ويشوونهم، وكانوا يقتلون الإنسان من أجل لحم كفيه وقدميه، قائلين إنها أشهى لحم الإنسان)[٣٤]؛ فلم يكتفوا بالحرق رغم بشاعته، بل تلذذوا بأكل البشر، وتفننوا في تذوقه.

وفي عام ١٠١٨م أقام روجر النورماندي وليمة كبيرة لجيشه من لحوم جثث المسلمين. وأثناء حصار الصليبيين لمدينة عكا مرض ريتشارد قلب الأسد وأصيب بحمى شديدة فلم يكن يقبل أي طعام يقدم له، وفي ذات يوم طلب أن يقدم له شواء لحم خنزير، وقام الطباخ بأخذ جثة شاب مسلم وهيأها للملك وقدمها له على أنها لحم خنزير؛ فلما أعجبته سأل الطباخ عن سرها فأخبره الخبر، وقدم له رأس الغلام، فانفجر الملك ضاحكا وصاح: (عجبا هل لحوم العرب طيبة ولذيذة إلى هذا الحد؟! بحق موت الرب وصعوده لن تهدر حياتنا بعد اليوم جوعا ما دمنا قادرين على الهجوم على العرب، ونعوّض نقص المؤن لدينا، فقد نعمنا بمذاق لحومهم، وما علينا الآن إلا أن نشوي لحومهم أو نقليها أو...).[٣٥]

وقال د. غوستاف لوبون عن أعمال الصليبيين في آسيا الوسطى: (وكان من أحب ضروب اللهو إليهم قتل من يلاقون من الأطفال وتقطيعهم إربا إربا وشيّهم كما روت آن كومنين بنت قيصر الروم... وأمر بوهمند بتقطيع الجواسيس وطهيهم وإطعامهم للجنود الجائعين).[٣٦]

الشاهد الثاني: حرق البرتغاليين المسلمين في الهند: (وفي هذه المناسبة قيل إن

نائب الملك الإسباني أفنسو دلبو كيرك قد ارتكب أعمالا وحشية مرعبة؛ ثأرا من أعدائه، فقد أمر بحشد المسلمين الذين أسرهم الهندوس في أحد المساجد وأشعل فيه النار بمن فيه، وكان فيه واحد ممن كانوا قد هربوا إلى معسكر العادل خان عند استيلاء البرتغاليين على (جوا) للمرة الأولى وتحول إلى الإسلام)[٣٧]. تشابهت الاعتقادات فتشابهت الأعمال

ثانيا : حرق المدن

فمن ذلك ما جاء في سفر التثنية:(وَتُحْرِقُ بِالنَّارِ الْمَدِينَةَ وَكُلَّ أَمْتِعَتِهَا كَامِلَةً لِلرَّبِّ إِلهِكَ).تثنية ١٣.

وهذا يشوع يحرق بانتقائية بالغة فيحرق المدينة؛ لأنه لا حاجة له فيها، ويبقي الفضة والذهب والنحاس والحديد، جاء في سفر يشوع:(٢٤وَأَحْرَقُوا الْمَدِينَةَ بِالنَّارِ مَعَ كُلِّ مَا بِهَا، إِنَّمَا الْفِضَّةُ وَالذَّهَبُ وَآنِيَةُ النُّحَاسِ وَالْحَدِيدِ جَعَلُوهَا فِي خِزَانَةِ بَيْتِ الرَّبِّ). يشوع٦.

وفي الفقرات الآتية أخبار عن تحريق مدن بأكملها، وتصريح بأسماء المدن المحرقة، فهذه مدينة عاي تحرق ويعلق ملكها على خشبة إلى المساء، وتكون خرابا إلى الأبد، وهذه حاصور تؤخذ ويضرب ملكها بالسيف وتحرق، أما مدن بني مديان فلم تكن بأحسن حظا مما سبق فسبيت النساء والأطفال ونهبت الأموال وحرقت المدن، وهذه نصوص يشوع: (١٨فَقَالَ الرَّبُّ لِيَشُوعَ: «مُدَّ الْمِزْرَاقَ الَّذِي بِيَدِكَ نَحْوَ عَايٍ لأَنِّي بِيَدِكَ أَدْفَعُهَا». فَمَدَّ يَشُوعُ الْمِزْرَاقَ الَّذِي بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَدِينَةِ. ١٩فَقَامَ الْكَمِينُ بِسُرْعَةٍ مِنْ مَكَانِهِ وَرَكَضُوا عِنْدَمَا مَدَّ يَدَهُ، وَدَخَلُوا الْمَدِينَةَ وَأَخَذُوهَا، وَأَسْرَعُوا وَأَحْرَقُوا الْمَدِينَةَ بِالنَّارِ. ٢٠فَالْتَفَتَ رِجَالُ عَايٍ إِلَى وَرَائِهِمْ وَنَظَرُوا وَإِذَا دُخَانُ.... ٢٨وَأَحْرَقَ يَشُوعُ عَايَ وَجَعَلَهَا تَلاًّ أَبَدِيًّا خَرَابًا إِلَى هذَا الْيَوْمِ. ٢٩وَمَلِكُ عَايٍ عَلَّقَهُ عَلَى الْخَشَبَةِ إِلَى وَقْتِ الْمَسَاءِ. وَعِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ أَمَرَ يَشُوعُ فَأَنْزَلُوا جُثَّتَهُ عَنِ الْخَشَبَةِ وَطَرَحُوهَا عِنْدَ مَدْخَلِ بَابِ الْمَدِينَةِ، وَأَقَامُوا عَلَيْهَا رُجْمَةَ حِجَارَةٍ عَظِيمَةً إِلَى هذَا الْيَوْمِ). يشوع ٨.